الجمهـــورية الجزائريـــة الديمقراطية الشعبيـــة
وزارة التعليـــم العـــالي والبـــحث العلمي
جـــامعـــة ابن خلدون – تيارت –
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر فرع: أدبيـــة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية

الموسومة بـ:

النزعة الايديولوجية في الرواية الجزائرية المعاصرة

إعداد الطالبـــتين:
– عائشـــة عاشـــق
– نور الهدى نعيمة

إشـــراف الأستاذ الدكتور:
– البشيـــر محمـــودي

أعضاء لجنـــة المنـــاقشة

د.بلقاسم عيسى .....رئيســـا
أ.د.البشير محمودي.....مشرفا ومقررا
د.علـــي مـــــداني.....عضوا مناقشـــا

السنة الجامعية

1440هـ / 1441هـ
2018م / 2019 م

قال تعالى:

" رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ "

آل عمران – 08 –

شكر وتقدير

" إن النعمة موصولة بالشكر والشكر متعلق بالمزيد وهما مقرونان في قرن، ولن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد ".

أشكر الله على توفيقه وسداده لنا، الذي هدانا وأرشدنا لإعداد هذه المذكرة بعد فضل الله عز وجل أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الخالص للأستاذ المشرف الدكتور بشير محمودي الذي كان نعم السند وخير الموجه كعيلة مسار بحثنا، فلك منا كل الثناء والتقدير كما نتوجه بخالص الشكر التقدير إلى أعضاء اللجنة الموقرة كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل من أفادنا في مسيرتنا الجامعية كي نصل إلى هذه المرحلة

إهداء

إلى الوالدين الكريمين أطال الله عمرهما

إلى أسرتي الكبيرة التي كانت سندا لازمني مشوار البحث

إلى إخوتي وأصدقائي حفظهم الله

إلى كل من علمني الخير

إلى كل طالب علم صادق في مبتغاه

نور الهدى

إهداء

إلى تلك الغالية على القلب ورفيقة الروح والدرب أمي الغالية أحيا بها وأموت من أجلها أصال إلى غالي الغالي الذي كان حول حياته سندا لنا يمدنا بعطائه وعطفه وحنانه أبي العزيز

إلى أعز وأغلى ما أملك في الوجود إخوتي وأخواتي خاصة إيلاف، رجاء، جودي حفظهم الله

إلى كل أفراد عائلتي كبيرا وصغيرا

إلى صديقاتي

عائشة

مُقَدِّمَةٌ

مقدمـــــة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه وبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد القرآن الناطق والسراط المستقيم الذي بلغ الأمانة وأدى الرسالة و نصح الأمة، فزال الضلال وأشرق الهدى وعلى آله وأصحابه نصرة الحق وحملة الدين، العلماء العالمين من المفسرين والفقهاء والمحدثين إلى أن يقوم الناس لله رب العالمين أما بعد:

يشكل البعد الإيديولوجي ظاهرة ملحوظة في الممارسة الروائية الجزائرية وخاصة المعاصرة فلقد تعددت حدود الإيديولوجيا وتعريفاتها يتعدد مظاهرها وتشابك علاقتها وتجلياتها مع الكثير من الظواهر الاجتماعية و النفسية والاقتصادية حتى ليمكن القول أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل إعتماد تعريف واحد جامع مانع لها حيث يرتبط كل تعريف بمدخل معرفي أو مدرسة فكرية تستند إليه وتتخذ منه منهجا في الوصف والتحليل والاستنتاج.

ففي دخولنا وبحثنا في معنى كلمة إيديولوجيا تلك الكلمة التي لم تظهر في اللغات الأجنبية إلا حديثا أمام التعريفات التي امتلأت بها الصحف ونفضتها الأقلام أن نمضي توا في شيء من التبسيط إلى معنى الإيديولوجيا بصفة عامة فهي نظام من المعتقدات والاتجاهات ذات طبيعة دينية أو سياسية أو فلسفية والذي يتأسس بهذا القدر أو ذاك بمشاركة الآخرين وهو ينشأ عن سلطة خارجية.

فيعتبر مظهر الإيديولوجيا في النصوص الأدبية والجزائرية بخاصة من أهم الأطروحات باعتبارها نسقا من الأفكار يعكس تصور الأفراد أو فئات تسعى إلى تحقيقها، ومن هذا فإن الرواية تعد من أكثر الأنماط الأدبية تعقيدا وأكثرها استحضارا للواقع، فهي تتخذ من الأنساق الفكرية والإيديولوجيا متكأ ومن الفضاءات متخيل ولعل ما يمنح الرواية خصوصياتها هو ذلك التناغم العجيب حيث تلتحم لمسات الواقع بفضاءات المتخيل وبذل يكون الإيديولوجي والسردي وعالم الممكنات أبعاد تتشكل عبرها الرواية.

فالرواية أقرب فنون الأدب إلى الحياة يصفها بعض الدارسين بأنها صورة من المجتمع، إن الرواية الجزائرية كغيرها من الروايات شهدت تطورا كبير، استندت فيه على الواقع العربي والجزائري الذي يعتبر نقطة جوهرية سواء أكان في الرواية التقليدية أو الحداثية فالأولى الطابع الإيديولوجي طغى على معظم كتاباتها والثانية تراجع فيها المعيار الإيديولوجي.

لقد حققت الرواية الجزائرية في مسيرتها الإبداعية وجودا مميزا في الواقع الأدبي الذي ساد مرحلة الاستقلال فلقد كان للنزعات صدى كبير في تأثيرها على الرواية الجزائرية المعاصرة خاصة في فترة السبعينات والثمانينات، فالإيديولوجيا تدخل الرواية باعتبارها مكونا جماليا لأنها هي التي تتحول في يد الكاتب إلى وسيلة لصياغة عالمه الخاص وهذا ما يعرف بوجود الإيديولوجيا في الرواية فكثيرا ما أخطأ النقاد العرب في التعامل مع الإيديولوجيات المكونة لبنية الرواية، فالتعامل معها أو على الأصح مع بعضها على أنها تعبر بشكل مباشر عن صوت كاتم، مع أن ككتاب الرواية غالبا ما يقومون بعرض هذه الإيديولوجيات والمواجهة بينها، والرواية كإيديولوجيا لا يمكن الحديث عنها إلا بعد استيعاب طبيعة الصراع وتحليها بين الإيديولوجيات.

فإن الإيديولوجيا وتأثيرها على الرواية تكون عادة متصلة بصراع الأبطال، إنما تبقى الرواية كإيديولوجيا هي تعبير عن تصورات الكاتب بواسطة تلك النزعات الإيديولوجية ونمط اشتغالها داخل الرواية الجزائرية وخاصة المعاصرة الأثر الكبير في هذا البحث منها الثورية بصفة أكثرن ومن هنا جاء موضوع بحثنا الموسوم بعنوان النزعة الايديولوجية في الرواية الجزائرية المعاصرة ولعل من الأسباب التي دفعتنا إلى الخوض في هذا البحث واختيار هذا الموضوع الشيق هو:

- اهتمامنا بالطرح الإيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة.
- شغفنا لمعرفة العديد من الروايات والتطلع إليها مع تعلم مادة جديدة في دراسة النزعات.
- انتشار الرواية الجزائرية بقوة في الساحة الأدبية العربية.

و لمحاولة التعمق في هذا الموضوع نطرح جملة من الإشكاليات والتي تتمثل في:

- ما هي الإيديولوجيا ؟ كيف أثرت في الرواية أو بالأحرى الرواية الجزائرية المعاصرة ؟

- ما هي أهم النزعات الإيديولوجية التي جالت بكثرة في فترة (السبعينات والثمانينات والتسعينات) ؟
- كيف تجسدت الإيديولوجيا في النص الروائي ؟

وللإجابة على هاته التساؤلات ولما كانت الخطة لازما من لوازم البحث العلمي، جاءت آفاق هذا البحث منتظمة في مقدمة و مدخل وثلاثة فصول وخاتمة وتأتي مبنية علة النحو الآتي:

يتقدم هاته الخطة **مدخل** والذي جاء تحت عنوان دراسة حول الإيديولوجيا فقد تناولنا فيه الجانب التنظيري والتقعيدي لهذه الدراسة كما حددنا فيه مفهوم مصطلح الإيديولوجيا وكذلك الوقوف على أهم الخصائص والأنواع والتصنيفات وهذا فضلا على العلاقات التي تربطها بأنساق فكرية عامة.

أما عن **الفصل الأول** الذي جاء تحت عنوان الإيديولوجيا والفلسفة والواقعية الإشتراكية واعتمدنا فيه على تحديد الإيديولوجيا في الفلسفة والإيديولوجيا الإشتراكية و الرواية أما من ناحية الجانب التطبيقي فاخترنا رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة.

أما عن **الفصل الثاني** فقد خصص كذلك للجانب النظري والتطبيقي والذي جاء تحت عنوان النزعة التاريخية والدينية في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج ولقد اعتمدنا في هذا الفصل على تحديد العلاقة بين الإيديولوجيا والتاريخ والإيديولوجيا والدين، أما من ناحية الجانب التطبيقي فاخترنا رواية الأمير لواسيني الأعرج.

و**الفصل الأخير** عنون بالإيديولوجيا في الرواية الجزائرية المعاصرة وكذلك تطرقنا فيه إلى الجانب النظري والتطبيقي ودرسنا فيه الرواية الجزائرية في مرحلة السبعينات والثمانينات والتسعينات والصعوبات التي واجهتها أما من الناحية التطبيقية فاخترنا دراسة النزعة الثورية في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي.

وفي الأخير جاءت **خاتمة** هذا البحث تتويجا لمساراته، فعملت على توطين أهم النتائج التي توصلنا إليها على شكل نقاط مركزة.

أما عن المنهج فاستعنا بالمنهج التحليلي الوصفي الذي يتخذ آليتي الوصف والتحليل ممتكأ وسندا لتكثيف الضوء على زوايا الظاهرة عبر أهم نزعاتها.

ولقد اعتمدنا طيلة بحثنا هذا على قائمة مصادر ومراجع من أهمها:

- مفهوم الإيديولوجيا لعبد الله العروي
- حميد لحميداني النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النقد الروائي.
- عمر عيلان الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي.

كما واجهتنا جملة من الصعوبات، منها قلة المراجع خاصة في مجال التطبيق وكذلك واجهتنا مشكلة لكثرة الدراسات التي سبقتنا في دراسة الجانب الإيديولوجي وخاصة في الرواية.

و في الأخير نتقدم بالشكر الجزيل لكل من أعطانا يد المساعدة لإتمام بحثنا الجامعي ولأستاذنا الفاضل المشرف الدكتور بشير محمودي الذي أحاطنا برعايته فكان لنا السند والموجه والمرشد كما نتمنى أن يكون هذا العمل المتواضع قراءة ضمن خريطة القراءات الجامعية المبتدئة هكذا لنستفيد ونفيد وفي الأخير نسأل الله السداد والتوفيق.

مـــــدخـــل

دراسة حول الايديولوجيا

1- مفهوم الايديولوجيا
2- الايديولوجيا والأدب والرواية
3- أنواع الايديولوجيا
4- تصنيف الايديولوجيا
5- خصائص الايديولوجيا

مدخل: مفهوم الايديولوجيا

في هذا الجزء نقدم أولا مفهوم الايديولوجيا بعبارة المجال المفهومي كونه لا ينتمي إلى مجال مفهومي خاص ومحدد في الفكر الحديث، حيث أدى إلى تباين محمولات مفاهيمية وتطبيقية متباينة، وساهمت في بلورة ميزات خاصة ونهائية تسمى ايديولوجيا " فهي تعد من أهم المصطلحات الفكرية التي أثرت في الساحة الثقافية العالمية بسبب ارتباطها بميادين المعرفة الإنسانية وتظهر قيمة الايديولوجيا عبر ذلك الإرث الثقافي الغربي الذي شظى لمفهوم القاعدة "[1] عبر مناقشته يقول "ماكس سكيدمور Max. J skidmore الايديولوجيا مسؤولة عن الجريمة الاجتماعية بقدر مسؤوليتها عن الإبداع الثقافي الرفيع وهي التي أدت إلى ظهور الدولة القومية وفي الوقت نفسه، هي التي أطاحت بنظم سياسية عديدة وهي التي تقف وراء السجون والتعذيب وعلى العكس المرتبطة بالسعي الدؤوب لحماية حقوق الإنسان"[2] فمن هذا القول يبين لنا المفهوم الخاص بالايديولوجيا وهي طبيعة تحول مستمرة فتحت مجالات ثقافية.

فمصطلح الايديولوجيا ما زال محل جدل واختلاف منذ النصف الأخير من القرن التاسع والعشرين إلى يومنا هذا، وكان هذا الاختلاف بسبب توظيف مصطلح الايديولوجيا في الحقوق المعرفية كعلم النفس والنقد الأدبي يقول عبد الله العروي " الايديولوجيا ليست مفهوما عاديا يعبر عن واقع ملموس يوصف وصفا شافيا وليست مفهوما متولدا عن بديهات فيجد صدا مجردا، وإنما هي مفهوم اجتماعي تاريخي وبالتالي يحمل في ذاته أثار تطورات وصراعات ومناظرات اجتماعية وسياسية عديدة "[3]، وإبراز مما سبق يمكن اعتبار المصطلح في مجال الفكر المعاصر عبر تتبع تاريخي وهذا عبر استقراء المصطلح في إطار تكوينه وتفاعله بالنسبة لكل مرحلة تاريخية، مع مراعاة البناء الفكري ولعل أقصى ما يمكن الطموح إليه هو محاولة تقييم المفهوم.

وإن اللافت للانتباه في مصطلح الايديولوجيا أو في محاولات تأصيله في مجال مفهومي خاص به إنه فلابد من استعماله عبر مختلف الآثار، فاتسعت دائرة مفاهيمه بين مختلف الفلسفات وخاصة

---

[1]- ينظر: جون سكوت، المفهوم القاعدة: ايديلوجيا Idéologie كما قدمه وعرضه "دوتراسي" ، علم الاجتماع – المفاهيم الأساسية، تر: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط (01)،2009، ص 66

[2]- عمار علي حسن، الموسوعة السياسية للشباب، الايديولوجيا، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط (01)، يونيو 2007، ص 14.

[3]- عبد الله العروي: مفهوم الايديولوجيا، الدار البيضاء، المغرب، ط (05)، 1993، ص .05

السيسيولوجية فمثلا كارل منهايم الذي قابل مصطلح الايديولوجيا باليوتوبيا لرسم صورة بناء الطبقات وأيضا عند الماركسية الذين عرفوا الايديولوجيا أنها تجاذبا كبيرا على امتداد مراحل الفكر الماركسي وخاصة عد ألتوسير الذي قدم فلسفته الماركسية على أساس الوجود المادي للايديولوجيا. فهذا المصطلح انفتح على عدة مفاهيم لكن بمقاربات متباينة، ويعتبر الفيلسوف الفرنسي أنطوان دستوت دي تراسي Antonie Desteut De Tracy أول من أرسى مصطلح الايديولوجيا بصيغة Ideologie وذلك في كتابه الشهير عناصر الايديولوجيا Éléments D'ideologie عام 1825[1]، وينطلق دي تراسي لفكرة ضرورة اتباع المنهج العلمي التجريبي في دراسة الفكر وقابليته للخضوع لمخبر التجارب العلمية وذلك أنه يدرس الأفكار دراسة علمية بحتة باتباع قوانين علمية مضبوطة تنطلق من الملاحظة والتجربة لتصل إلى نتيجة محددة، فينبغي على الايديولوجين " دراسة الأفكار كما يدرس غيرهم الدورة الدموية ".[2]

فهو يشرح مفهوم الايديولوجيا من خلال تقديم أهم مبادئها، وهو وجوب الدراسة العلمية للأفكار أي ضرورة دراستها وفق منهج علمي.

وفيما يخص مجال الأدب فإن علاقة الإبداع الأدبي كنشاط إنساني بالوقائع وعلاقات التأثير والتأثر كانت على مدار التاريخ الأدبي قضية نقدية متوارثة اتصلت بمفهوم الايديولوجيا منذ ظهور المصطلح على اعتبار أن الأخير يقابل علم الأفكار وليس الأدب إلا صورة من صور الفكر والنشاط الإنساني.

اهتم الايديولوجيون بعلم الأفكار وابتعدوا عن التأويلات الغيبية واعتمدوا على الحقيقة في تفسير الظواهر الاجتماعية " الميتافيزيقا وحاولت إقامة العلوم الحضارية على أسس أنثروبولوجية وسيكولوجية "[3]، فمن هنا ارتبطت النزعة المادية بالجانب التحليلي والخروج من الواقع لاستخلاص المادة المحللة وكل هذا من توجه الايديولوجيا، فإن تبني الايديولوجيا للتوجه العلمي كإجراء، فأصبحت داعية إلى حرية التفكير والتحرر من الميتافيزيقا فالايديولوجيا كمفهوم جديد تقابل علم الأفكار فكانت بمثابة قطيعة على الفكر التقليدي الذي تسيطر عليه الكنيسة وهو " حاجز بدون إلهام

[1] - David Hart, Destult de Tracy (1754-1836): Anannoted Bibiliography, 2001

[2]- Encyclopédie Agora, fondée par Jacques Différence et Hélène lalerge dossier idéologie, définition, 2003.

[3]– ابراهيم زكريا، مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، الفجالة، مصر ، دت، د.ط، ص 176

إلهي"[1]، فهذا هو الأمر الذي جعل علم الأفكار يهدف إلى تحقيق برنامج إصلاحي يقوم بتحرير الفرد من قيود الكنيسة وتشغل مكانتها من أجل السيطرة على عقل الفرد والمجتمع ككل.

الايديولوجيا والأدب و الرواية:

شهد الأدب تطورا على مر الزمن وعرف حركات نقدية فتتبعت الوظيفة المعلقة اتجاه الإنسان ومجتمعه، لأن الأدب هو دائما في حركة دائمة مع المجتمع فكل طابع في المجتمع يكون عبر اتجاه ايديولوجي تؤثر فيه كذلك " عبر الدساتير والعادات والتقاليد والفلسفات "[2]، فهي تعبر عن أفكار بطرق مختلفة، ونجد أيضا الفيلسوف الماركسي جورج لوكاتش الذي رفض إقامة علاقة بين الأدب والواقع ويلمح لوسيان غولدمان إلى " إقرار العلاقات المباشرة بين البنية الاجتماعية، الاقتصادية من جهة، وبنية الأدب من جهة أخرى؛ مدخلا تحت مفهوم البنية كلا من الشكل والنوع الأدبي ومبادئ تصوير الواقع "[3]، وقدم في كتابه الاله الخفي Le Dieu Cashé 1945م ففي هذا الكتاب يقدم تحليل العلاقة بين البنيات الاجتماعية وبين قوى الدفع الإبداعية عند الفلاسفة والأدباء والفنانين وقرر أن هذا بمثابة البذور الأولى لعلم اجتماع الأدب عنده.

إن الأدب هو مجموعة تناقضات أنتجها التاريخ لأنه " مؤسسة اجتماعية "[4]، فهو يشكل علاقة متباينة موضوعية مشكلة الزمن مع التاريخ وكذلك المجتمع وككل هذه العلاقة ذات صلة للأدب بالايديولوجيا فهذا هو المرتكز الأساسي للنتاج الأدبي باعتباره العنصر الأساسي من جهة ونتيجة يقدمها النص الأدبي من جهة أخرى فالانزياحات التي تقدمها الايديولوجيا الأدبية تتوارى خلف التشكيل اللغوي، كما أن الكاتب هو بمثابة الصانع ينطلق فيه من المواد الأولية ويتبع مسارا تتم فيه عملية التحويل فتقوم بإبداع النص الأدبي ليجد أمامه " تجربته الحياتية بأبعادها النفسية والاجتماعية والايديولوجيا التي يتبناها ومجمل الايديولوجيات الموجودة في مجتمعه وعصره وأشكال انعكاساتها في ذهنه، وفي أنهان الناس الذين يحي معهم "[5]، فهنا الأديب لا يلتقط الأحداث بإحساس جاف، وليس

[1]- العروي عبد الله، مفهوم الايديولوجيا، ص 22.

[2]- محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط (01)، 1981، ص 107.

[3]- ألسبيرغ ياكوف، المنحنى السوسيولوجي في النقد الأدبي، ترجمة: نوفل ليوف، مجلة الأدب الأجنبية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، عدد 01، 1978، ص 73.

[4]- رينيه ويلك، أوتسن ورين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، دمشق، دت، دط، ص 73.

[5]- بلحسن عمار، الأدب والايديولوجيا، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،ط (01)، 1984، ص 94.

أيضا مصورا آليا لتلك الوقائع والأحداث وإنما هذه الأخيرة امتزجت بروحه وذاته فللنص عدة عوامل تشكل موقفه من العالم فهو " نتيجة تعاقد آلي بين الكاتب والوسيلة وبعدئذ يمكن اتساخه لمصلحة العالم ووفقا لشروط المفروضة من العالم وفيه "[1]، وبالتالي العمل الأدبي ساحة تستوجب التجارب الإنسانية، فتقوم بمعالجتها وإعادة تشكيلها وهي بطبيعة الحال تتضمن الخطاب الايديولوجي فيقوم الباحث بإجراء عدة ضوابط علمية من خلال اعتماده على المقارنة والتحليل للوصول إلى افتراضية الخطاب الأدبي لأن " لكل خطاب افتراضيته المتطورة التي لا تتضح دون مراقبة للكلمات "[2]، إن الكلمات هي التي تهدف إلى اشتغال الايديولوجيا عبر مستويات النصوص الأدبية لأن الكتابة هي مسؤولية التوظيف للغة الايديولوجيا من خلال الخصائص والمميزات.

لقد نعت الفيلسوف كارل يسبرس Karl Jaspers الايديولوجيا بالنفعية " هدفها الجوهري خدمة لغاية المراد بلوغها عبر وسائط تخفي الحقيقة الموضوعية عن الذات المعقدة "[3]، فالايديولوجيا تحقق التماسك باعتبارها نظام فكري وهو الذي جعل لها حضور اجتماعيا وتصورا للإنسان وللعالم فهي غايات نفعية لفئة ما.

تتولد عن التصور الماركسي للايديولوجيا عدة صعوبات عرفها النقاد والباحثون لكنهم في الوقت نفسه بالعناصر والمقولات التي طرحها " Max " لاستنباط الفعالية الايديولوجية للمجتمع وذلك بارتباطه الفعالية المادية خاصة علاقة الإنتاج والاقتصاد، ويعتبر ماركس أن تطور الإنتاج هو الجزء الأكبر من تطور تاريخي، وأن تطور قوى الإنتاج يسهم بشكل كبير في تكوين البنية التحتية للمجتمع والتي تؤثر في الايديولوجيا كالدين والأخلاق والاقتصاد. ويعتبر ماركس أن " الذوات العاملة في التاريخ هي مجتمعات بشرية معنية، وأن تلك المجتمعات تبدي لنا ككليات تشكل وحدتها بواسطة نموذج نوعي من العلاقات المعقدة...يمكن أن توجزها...في ثلاثة هي الاقتصاد والسياسة والايديولوجيا...وعلى هذا النحو تشكل الايديولوجيا جزءا عضويا في كل وحدة مجتمعه "[4]، يوظف ماركس مصطلحين للمفهوم تحت عنوانين رئيسيين الأول الذي استمد من الثقافة الفرنسية فكان رأيه

[1]- سعيد إيدوارد، العالم والنص والناقد، تر: عبد الكريم محفوظ، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2000، ص 103.

[2]- ناصف مصطفى: اللغة والتفسير والتواصل سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995، ص 288.

[3]- إبراهيم زكريا، مشكلة الفلسفة، ص 180.

[4]- محمد سيلا، عبد السلام بن عبد العالي، الايديولوجيا، دفاتر فلسفية نصوص مختارة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط (02)، 2006، ص 88.

من رأي الفرنسيون باعتبارهم الايديولوجيا فكرا زائفا فهي عنده جمع أوهام تعمم العقل وتحييه عن إدراك الواقع والحقيقة "[1] والعنوان الثاني فحاول التوفيق بين الضرورة التاريخية والاجتماعية للشكل الايديولوجي فماركس يعتقد أن هناك علاقة ترابط بين الاقتصاد والايديولوجيا " وهو جانب يخصم في فلكه كل أشكال القانون والسياسة والأفكار ووعي الناس بالأشياء التي تحيط بهم وتفاعلهم مع خصوصيات مجتمعهم وبالتالي فإن كل الأشكال القانونية والدينية والفنية والفلسفية متضمنة في الايديولوجيا "[2]، تسهم الايديولوجيا في إذكاء الصراع بين الطبقات الحاكمة والمحكومة والمناضلة ضدها فهي تسعى دائما للحفاظ على أفكارها وتسويقها كرؤية استشرافية ترسم تطلعات المستقبل فحسب الماركسية أن " الطبقة المسيطرة في المجتمع تسعى لفرض أفكارها واستقطاب أشكال التعبير الموجودة فيه واحتوائها لتضم إلى هيمنتها المادية سيطرة فكرية...وبمعنى آخر الطبقة الملكة للقوة المادية المتحكمة في المجتمع تمثل في ذات الوقت القوة الروحية المهيمنة في ذات المجتمع".[3]

إن شرط تحقيق الايديولوجيا هو تحقيق لغويتها فإن المجال الذي تشترك فيه المادة الأدبية والايديولوجيا هو اللغة باعتبار هذه الأخيرة هي العنصر الفعال بين أفراد المجموعة الاجتماعية فهذا التمييز هو الذي يبرز الفرق بين استعمالها اليومي واللغة الأدبية التي تنتقل من المستوى العادي إلى المستوى الفني" إن الأدب هو خلق وإبداع، والموضوع الأدبي هو ابداع مطلق لا يتحدد إلا بخالقه، لذا يجب بحث على أساس الموهبة والعبقرية؛ ذلك أن النص خلق ذاتي من طرف ذات واعية هي الكاتب، فهو جملة علاقات لغوية ذات دلالة، أن النص كتابة خارج التاريخ وخارج العلاقات الاجتماعية وسيرورتها "[4]، وبهذا المفهوم وجهت الدراسة الأدبية وجهة خارجية، أغلقت النص على نوع واحد من القراءة أن اعتبار الأدب فعلا لغويا يمارسه الأديب في فضاء اللغة تنهل من فضاء اجتماعي قوامه اللغة فذلك يؤسس الايديولوجيا كل فعل لغوي " فالأدب فعل لغوي، حين ندرك هذه الحقيقة البسيطة لنبدأ في استقراء منطوياتها، ندرك بشكل حاسم أن الأدب فعل في فضاء ايديولوجي بل تدرك أهم من ذلك بكثير: لأن الأدب على وجه الخصوص فعل لغوي فهو في الآن

[1]- عمرو عيلان، الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، منشورات جامعة قسنطينة، الجزائر، ط (01)، 2000، ص 64.

[2]- عبد الله العروي، مفهوم الايديولوجيا، ص 30.

[3]- عمرو عيلان، الايديولوجيا وكتبة الخطاب الدوراني، مرجع سابق، ص 16.

[4]- عمار بلحسن، الأدب والايديولوجيا، مرجع سابق، ص 19.

نفسه فعل ايديولوجي"[1]، إن الأدب هو في عملية مستمرة لمكونات الايديولوجيا في الفعل اللغوي ومن هنا تنشأ علاقة تفاعلية معقدة ويكون ذلك انطلاقا من الوعي الجماعي للمجموعة الاجتماعية التي يمثلها الأديب المنتج والتي تشكل العمل الفني ايديولوجية متوسطة وقد نبأ الأستاذ عمار بلحسن في مؤلفة الأدب والايديولوجيا إلى تحديد نسبي للعلاقات التي تربط النص الأدبي والقيم الايديولوجية مبرزا أن:

1- إعطاء النص الأدبي بنية وشكل للايديولوجيا فينتج عدة دلالات تختلف من نص إلى آخر حيث أن لكل نص أدبي تجربة خاصة به.

2- عندما تصبح الايديولوجيا واضحة في أقوالها رغم وجودها المضمر فإن النص يقوم بتحليلها وكشفها وإعادة تكوينها كايديولوجيا عامة في عصر ما فهذا الأخير هو الذي يكشف تلك الرؤى والأفكار المخيفة.

يتضمن العمل الأدبي عناصر معرفة الواقع فهو انعكاس عارف وتمثل في جمالي لظواهره وأشخاصه وعلاقاته وأحاسيسه فهذه المعرفة تختلف عن المعرفة العلمية نظرة الاختلاف العلم والأدب فإن هذه التوضيحات كانت بمقدور تجسيد آمال الناس وتطلعاتهم وهي المنتج لتوجهات ايديولوجية وخبرات إنسانية.

تعتبر الايديولوجيا مكونا من مكونات النص الروائي فهي تقتحم النص باعتبارها مكون ولا يمكن بناء نص روائي إلا من خلالها وعندما نقوم بقراءة نص فإن لكل جماعة من القراء وعي أو غير وعي لتصورها الخاص لأنه في النص الروائي لا يضمن ايديولوجية من تلك الايديولوجيات المعروفة في النص فهي تبقى مخفية أي " تتحرك بسرية بين الايديولوجيات المعروفة "[2]، ولقد قدم أحد الدراسيين أفكارا جديدة فيما يخص النظرية الايديولوجية للرواية أهمها: التمييز بين مصادر إنتاج النص الروائي وفيما يخص الجانب الجمالي يخصم من أدائه أن الايديولوجيا لها عناصر واقعية تدخل إلى النص الروائي كمكون للمحتوى.

[1]- كمال أبو ديب، الأدب والايديولوجيا، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 54.

[2]- حميد لحميداني، النقد الروائي والايديولوجيا من سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ط (01)، 1990، ص 59.

إن التصور الماركسي هو الذي قاد بيبر ماشيري " Piere Machery " إلى بلورة اعتقاد جديد لعلاقة الرواية الايديولوجية فيقدم ماشيري في كتابه من أجل نظرية الانتاج الأدبي فيقول " مفهوم المرأة كما تصوره لينين- وهي - عنده جزئية لأنها تقوم باختيار ما تعكسه، بمعنى أنها لا تعكس الحقيقة الكلية الموجودة في الواقع "[1]، وبالتالي استخراج تداخل ايديولوجيتين هي البرجوازية والبرولستاريا، بعد أن طبق ملاحظاته على أعمال تولستوي فهذا أن الايديولوجياتان تشكلان جانب جمالي باعتبارهم " عناصر واقعية تدخل إلى النص الروائي كمكونات للمحتوى أي كعناصر مؤسسة للنية الفنية"[2]، واتضح لماشيري بنية الانعكاس الحاصل بين الواقع والشكل الجديد لأن النتاج من حيث كونه مرآة، غير قادر على استيعاب الفهم الفني المتزايد فلو كان " مرآة أمنية للواقع لن تكون له أي قيمة دلالية، لأنه سيتكفي عندئذ بنقل الواقع كما هو، أما وهو غير مكتمل فإنه يكمل صورته الخاصة هادفا إلى تمثيل صورة الواقع الناقصة بالنسبة إليه يقول ماشيري: إن المرآة التعبيرية لأنها تعكس أكثر مما تعبيرية لأنها تعكس "[3]، وهنا يسعى المؤلف إلى تضمين دلالات كثيرة تنهل من تجربته ومحيطه وواقعه التاريخي، فكل ثغرة في النص خاضعة لتأثير الايديولوجيا كما أن تأثير الايديولوجيات بالتسليم تعدد الطبقات التي عدها ماشيري شرطا بقوله :" ضروريا وعنصرا أساسيا لا غنى عنه لوجود النص وكينونته، فالرواية تحمل مشروعا ايديولوجيا لا يمكن تشكيله إلا بربطه بالواقع الاجتماعي ولكون المجتمع لا يشمل على تصور واحد فإن النص الروائي مطالب بتجسيد التناقضات والاختلافات الايديولوجية التي قد لا تتفق بالضرورة مع مضمونه فالايديولوجيات حين دخولها في البناء الروائي تتصارع فيما بينها بوصفها فيه واقعية وتعبيرا اجتماعيا وتخلق بالتالي علاقة تنازعية مع التصور العام الذي وظفت فيه[4]، هناك دليل قاطع في المقولة التالية على علاقة الرواية بالايديولوجية كما طرح هيمنة الأديب في توظيف الايديولوجيات ومن ضمنها ايديولوجية الأديب نفسه وبإمكان الايديولوجيا أن تعدد في العمل الروائي الواحد وكذلك سعى كل من جورج لوكاتش George Luckus وتلميذه لوسيان غولدمان L- Goldman إلى تأسيس نظرية نقدية جمالية تعنى بدراسة الأشكال الروائية باعتبارها سيرة ووقائع تنطوي على تصوير واقعي. فهذه النظرية تأسست من الفكر

[1]- حميد لحميداني، النقد الروائي والايديولوجيا من سوسيولوجيا النص الروائي، المرجع نفسه، ص 25.

[2]- حميد لحميداني، النقد الروائي والايديولوجيا، مرجع سابق، ص 25.

[3]- المرجع السابق، ص 29.

[4]- ينظر: عمرو عيلان، الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 52.

الماركسي ويؤكد لوكاتش في مقولة مركزية " أن أي مؤلف أدبي أو روائي لا يظهر من العدم بل تعززه ظروف تاريخية، سوسيولوجية ملموسة، فلا بد إذن لفهم هذا العمل من دراسة الفترة التاريخية التي شكلت السياق التاريخي لإنتاجه كنص وفهم العلاقات الاجتماعية التي عالجها والتي سادت في هذه الفترة ".[1] كما يرى لوكاتش أنه من الضرورة الاحتكام لمعايير العقل السليمة لتفسير التجاوز قد يحدث تفاوتا بين المستوى الاجتماعي للروائي كفرد اجتماعي ينتمي إلى طبقة وبين المستوى الفكري الذي قد يجاوز طبقته، وإلى جانب تحليلات ماشيري التي لم ينفصل فيها عن الرؤية الماركسية لعلاقة الأدب بمساره التاريخي قدم الناقد الشهير ميخائيل باختين أفكاره حول الدور الذي يلعبه التناقض الايديولوجي داخل النص الروائي حيث بلور من خلال أعماله خاصة (شعرية ديستويفسكي والماركسية) و(فلسفة اللغة) و(القول في الحياة والقول في الأدب)، علم اجتماع النص الأدبي، والذي يحدد مهمته في " فهم هذا الشكل الخاص للاتصال الاجتماعي الذي يوجد متحققا ومثبتا في مادة العمل الأدبي"[2]، فلقد قسم باختين الرواية إلى رواية حوارية أو ديالوجية ورواية مونولوجية فرغم اشتمال الرواية المونولوجية على تصورات عديدة يجسدها أبطال مختلفون إلا أن ايديولوجية الكاتب هي الهيمنة على العمل الروائي وكل ما هو إيديولوجي ينقسم إلى قسمين " فئة من الأفكار تجسد وعي المؤلف ويتم التعبير عنها وتأكيدها، وتقدم على أنها أفكار صائبة ويقينية، أما الأفكار والآراء الأخرى فهي غير فتقدم كعناصر يتطلبها التشكيل الفني في الرواية"[3]، وهذا ما جعله يقدم الرواية المونولوجية على أنها شاملة لكل مستويات الايديولوجيا والتي توافق وعي المؤلف في تشكيل النص.

في داخل الرواية صراع إيديولوجي ويكون هذا الصراع باستعمال آليات الحوار وتشريح البنى اللغوية واستعاب الصراع الطبيعي لفتح المجال للحديث عن تحديد موقف الكاتب وموقف الرواية تجاه إيديولوجيات أخرى لأنه "عندما ينتهي الصراع الإيديولوجي في الرواية تبدأ معالم إيديولوجية الرواية في الظهور[4]، وينتقل البحث عن طبيعة وجود إيديولوجيات في الرواية إلى البحث في الرواية كإيديولوجيا.

---

[1]- جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، وزارة الثقافة بغداد ،ط (01)، 1978، ص 13.

[2]- البحراوي سيد، علم الاجتماع، الأدب، ص 48.

[3]- عيلان عمرو، الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، ص 64.

[4]- لحميداني حميد، النقد الروائي والايديولوجيات، ص 32.

أنواع الايديولوجيا:

في بحثنا المستمر والشائق في موضوع الايديولوجيا يجول بنا العقل في معرفة ما تحتويه هذه الايديولوجيا بحيث نرصد في البحث عن أنواع الايديولوجيا وبما تتميز كل واحدة منها وما هو الفرق بينهما، بحيث يمكننا التفصيل المبسط في شرحنا وذكرنا لكل منهما، ومن هذا الأخير يمكننا القول أن للايديولوجيا أنواع مختلفة يمكننا حصرها كالتالي:

" الايديولوجيا الأخلاقية: وهي عبارة عن أفكار تتعلق بالسلوك الصواب والخطأ "[1]، بمعنى أن الايديولوجيا الأخلاقية مرتبطة بكل الأفكار والسلوكات وردود الأفعال التي تجعلنا نرصد كل ما هو ايجابي وسلبي أو على الأرجح كل من الصواب والخطأ.

الايديولوجيا السياسية: وهي الايديولوجيا المرتبطة بالديمقراطية والسياسة أي كل ما يتعلق بالمجتمع وما يدور فيه من ثورات ونكبات وأحزاب " وهي مجموعة من القيم والمبادئ والأهداف التي ينوي أن يقوم الحزب الفائز بتنفيذها على أرض الوقاع وتحقيقها مثل: الديمقراطية، الأرستقراطية، الثيوقراطية، الملكية، المساواة...الخ".[2]

" الايديولوجيا المعرفية: وهي التي تتحدث عن طبيعة الحقيقة والوصول إليها ووسيلة للعثور عليها...مثل العلم مقابل التعصب والجهل والإيمان مقابل الأسباب والحقائق "[3]، لا يمكن القول أنه توجد معرفة بريئة فالحياد النصي وهم ايديولوجي والبراءة الايديولوجية ضرب من المستحيل، فالايديولوجيا معرفتها ثابتة في كل الخطابات ولا يمكن لأي ايديولوجيا أن تتعرى من معرفة خاصة بها.

[1]- ماهي الايديولوجيا - عريف، مقارنة، أنواع، الأهم بينهم: 29-12-2014، 10:00.
https://www.lazemtefham.com.2014.12.29

[2]- الايديولوجيا السياسية معاصرة، عبد الفتاح ماضي: الجمعة 14 حزيران يونيو 2013، 20:29.
www.abdelfattahmady.net(...)post434.2013.06.04

[3]- ماهي الايديولوجي- تعريف ، مقارنة، أنواع، الأهم بينهم، 29-12-2014، 10:00.
https://www.lazemtefham.com.2014.12.29

" الايديولوجيا القانونية: وهي التي تتكلم عن مفاهيم العدالة والتي تتمحور حول القوانين وكيفية تنفيذها بشكل صحيح على كافة "[1]، بالمختصر هذه الايديولوجيا تجمع كل ما يتعلق بالمجتمع وما يحدث في الجو الاجتماعي مع العدالة والقانون.

الايديولوجيا الاقتصادية: هذه الايديولوجيا نوع منفرد حيث أنها تتجلى من خلال التحدث عن توزيع الثروة ورؤوس الأموال وربط كل هذا مع التجارة والاقتصاد.

" ايديولوجيا النوع والنشاط الجنسي: وهي التي تتحدث عن الدور السليم ومناسب للرجال والنساء والأطفال ضمن الثقافة العامة وتعريف الزواج والميراث والعادات الجنسية "[2]، وكأي حال هذه الايديولوجيا أو هذا النوع من الايديولوجيا يدفعنا إلى الحديث أو ربط كل هذا مع أي شيء يتعلق بالحياة الأسرية أو الأسرة بصفة عامة بخصوص الزواج، الطلاق، الحضانة، وكذلك الميراث، العادات...الخ.

" ايديولوجيا العرق أو السلالة: وهي لا تتحدث فقط عن دور الأعراق في المجتمع ولكن تتحدث عن تعريف ووجود الأعراق"[3]، فعلى سبيل المثال :يقول العلم أن الأعراف غير موجودة وأن العبودية مبنية على التمييز العنصري.

" الايديولجيا الدينية: مثل العهد القديم مقابل العهد الجديد، والإسلام في الشرق الأوسط مقابل المسيحية الغربية "[4]، هي التي تفتح الأفق أمام الفكر والتأمل أي أمام عبادة أساسية يمارسها الإنسان في محراب الوجود والكون كما في محراب الوجود الانساني.

خصائص الايديولوجيا:

"حسب [ويلارد مولتر] فإن الخصائص الأساسية الواجب وجودها في الايديولوجيا كي تدعى بالتالي ايديولوجيا هي:

- يجب أن تكون لها سلطة على الادراك؛

[1]- ماهي الايديولوجيا- تعريف، مقارنة، أنواع، الأهم بينهم، 29-12-2014، 10:00 https://www.lazemtefham.com.2014.12.29

[2]- الموقع نفسه، https://www.lazemtefham.com.2014.12.29

[3]- الموقع نفسه، https://www.lazemtefham.com.2014.12.29

[4]- الموقع نفسه، https://www.lazemtefham.com.2014.12.29

- يجب أن تكون قادرة على توجيه عمليات التقييم لدى المرء؛

- يجب أن توفر التوجيه تجاه العمال؛

- يجب أن تكون متماسكة منطقيا ".[1]

" أما حسب [ريمون بودون] فإن الايديولوجيا تتميز بعدة خصائص من بينها:

1- الطابع الصريح والواضح لصياغتها؛

2- ارادتها في الالتفاف حول معتقد ايجابي أو معياري خاص؛

3- إرادتها في التميز بالنسبة إلى منظومات معتقدية أخرى ماضية أو حالية؛

4- انغلاقها أمام التجديد؛

5- الطابع المتشدد لاقتناعاتها؛

6- الطابع العاطفي لانتشارها؛

7- مطالبتها بالانتماء ".[2]

8- وأخيرا ارتباطها بمؤسسات مكلفة بالدعم وتحقيق المعتقدات المعنية ولمزيد من التفصيل والعمق، نجمل كل الخصائص العامة للايديولوجيا فيما يلي:

" الشمولية في التفسير: فالايديولوجيات تسعى إلى التفسير الشامل للمجتمع الانساني وقواه المحركة بغض النظر عن صحة أو خطأ هذا التفسير، وفي هذا الإطار تسعى الايديولوجيا إلى اعتبار الحقائق الخاصة، حقائق عامة ومقدسة وغير قابلة للنقض، وتخفي أي تناقص يمكن أن يبرز للعيان بين المصلحة الطبقية الخاصة أو المصلحة العامة، وحتى تستطيع الايديولوجيا صياغة هذا التفسير الشمولي،

[1]- ايديولوجيا، ويكيبيديا الموسوعة الحرة https://an.wikipedea..org/wiki

[2]- الموقع نفسه، https://an.wikipedea..org/wiki

فإنها تخضع لها كل المتطلبات الكائنة والممكنة: اللغة، الأسطورة، الدين، الأخلاق، الحقوق، الفلسفة، وتعمل على إقامة نسق معقد من التعقيدات والتبريرات ".[1]

التعبئة وتحريك الجمهور:

ما يميز الايديولوجيا هو خطابها الذي صمم لتحفيز ولتعبئة الناس وراءها، فهي لا تنحو فقط للإعلام ولكن لتوليد الحركة بين معتنقيها، قوة الايديولوجيا لا تكمن في البرهان التجريبي أو المنطقي، ولكن في قدرتها على تحفيز الحركة، وذلك من خلال تقديمها أفضل الوعود، إن الايديولوجيا بطبيعتها، تمارس سلط على الذين يقبلونها، وسلطة الايديولوجيا مستمدة من الشعور الذي يوقظه العمل الذي تحرص عليه الايديولوجيا

التطور والتغيير التدريجي:

" الايديولوجيا تتطور ولكنها تقاوم التغيير الجذري والأساسي فماركس هو الذي وضع أسس الايديولوجيا الماركسية، ولكن الآخرين مثل لينين وتروسكي وستالين هم الذين قاموا بتفسيرها وأضافوا الى هذا التفسير فالتغيرات في الايديولوجيا تحصل ببطئ شديد لأنها تعتمد نسبيا على هيكلها "[2]، وهذا الميل إلى الاستقرار يرجع إلى أن التصورات الايديولوجية ترتبط بمنظمات القيم، المستمدة من الدين والعادات والتقاليد والتراث، فتصلب مختلف أدوات التربية والاستمرار الشكلي لنفس الأدوات اللسانية، وقوة الأساطير والمقاومة الغريزية للتجديد التي تنغرس في عمق آليات الحياة، تعوق عملية التحول خلال انتقالها من جيل قديم إلى جيل جديد، ولأن الايديولوجيات تتغير في مضامينها وتطبيقاتها، فهي غالبا ما تمر بمرحلة صراع مركزة، خاصة بين المجددين والتقليديين حول الحاجة إلى التغيير فالصراع داخل الماركسية منذ لينين وحتى جورباتشوف ما هو إلا مظهر لهذا التغيير

التركيز على مناشدة العاطفة لا العقل:

" إن الايديولوجيا لا تعرف المبادئ العلمية المتمثلة في الموضوعية وإعادة النظر والنقد والتمحيص الدائم، إنها تقدم تفسيرا شاملا وجامعا للعالم، بحيث يستند هذا التفسير الى إفتراضات

[1]- Voir : François Bourricaud : Le Bricolage Idéologique (Essai sur les intellectuelles et les passions démocratiques), universitaires de France, 1ère édition 1980, p10.

[2]– أحمد محمود صبحي وصفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص 208.

مسبقة تطلق عليها صفة اليقين النهائي "[1]، الايديولوجيا تسعى إلى ممارسة تأثيرها عن طريق الشعارات ومخاطبة العواطف، وليس عن طريق الأسباب العقلانية، فالايديولوجيا تضع نفسها فوق العلم، وتقدم حقائقها زاعمة بها أقصى درجات اليقين، ومؤكدة للناس أنها على أهمية بالغة بالنسبة لحياتهم العلمية، فهي تزود معتنقيها بتوجيه إجمالي ثابت في الحياة، وتضبط سلوكهم من خلال تلك المعايير والتوجيهات هذا لا يعني أن الايديولوجيا المعاصرة لا تستخدم العلم في سبيل تكريس ما تراه من حقائق، حيث تعمل الايديولوجيات على اختيار النظريات العلمية لهذا الغرض، يتم هذا الاختيار بشكل مسبق، فلا يجري اختيارها أو تسخيرها إلا بقدر ما تحقق به متطلباتها كما أنه ليس من النادر أن يتم تفسير النظريات بحيث تأتي منسجمة مع تعاليم ايديولوجيا معينة، أو بحيث يصبح استخدامها كحجج لتأييد هذه الايديولوجيا

التمييز بين الأصدقاء والأعداء:

" تميز الايديولجيات بين أصدقائها وأعدائها، فتسعى إلى احتضان أصدقائها والكفاح ضد أعدائها، وهم ممثلوا الايديولوجيات الأخرى الذين يعيقون انتشار وانتصار المبادئ التي تدعو لها هذه الايديولوجيا، وهكذا تعمل الايديولوجيا على الربط بين أعضائها ومعتنقيها الذين يعتقدون بأنهم يمتلكون المعرفة المطلقة للحاضر والمستقبل وتصف أعدائها ومن يضعها موضع التساؤل بالهرطقة والضلال والخطأ ".[2]

التحيز والتعصب:

ينظر إلى المعتقدات الايديولوجية على أنها من أكثر أنواع المعتقدات انحيازا لاشتمالها على الأحكام المسبقة، والتحيز إلى جانب المصالح والمواقع الاجتماعية التي تسعى إليها " وفي هذا السياق يلاحظ أن الايديولوجيات السائدة تترع إلى حجب الفوارق الاجتماعية، واخفاء التناقضات وصرف الناس عن معرفة أوضاعهم، والعمل على اظهار المجتمع على حالة من الوحدة والتماسك والاستقرار في حين أن الايديولوجيات الناقدة، تظهر الاختلاف وتكشف عن الفوارق والتناقض الاجتماعي،

[1]- أحمد محمود صبحي وصفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة، ص 208.

[2]- المرجع نفسه، ص 210.

داعية إلى تجاوزه"[1]، ومن هنا تظهر الايديولوجيا بوصفها فكرا غائبا، مصلحيا وانتقائيا، وبموجب أن الايديولوجيا جانب اعتقادي يتمثل في اليقين الايديولوجي.

تصنيف الايديولوجيا:

يتميز تصنيف الايديولوجيات بميزات مشابهة لتلك التي تلازم عملية تعريفها من حيث تكاثر فئات التصنيف، بحسب خصائص الايديولوجيا ووظائفها المختلفة ومن أبرز التصنيفات التي وصفت الايديولوجيا نذكر:

التصنيفات العامة:

والمقصود بالتصنيفات العامة هو تلك التصنيفات التي تشمل أنواعا ايديولوجية مختلفة تجمعها مواصفات تصلح أن تكون فئاتا لتصنيفات أخص ويغلب على أمثل هذه التصنيفات التقسيم الثنائي للفئات الايديولوجية مثل:

* تقسيم الايديولوجيا إلى شخصية وعامة وهو تقسيم يقوم على التمييز بين مجموعة الآراء والاتجاهات والقيم أي أسلوب التفكير عند الإنسان والمجتمع، وبين الايديولوجيا الشخصية الخاصة بالأفراد

" فالايديولوجيات العامة يقصد بها تلك الايديولوجيات التي تعود إلى نظم اعتقادية عالية سامية، وإلى قيم معينة تتصل بالمجتمع كما هو وكما ينبغي أن يكون، والايديولوجيا بهذا المعنى منفصلة عن الأفراد ولها وجود مستقل عنهم أيا كان قبولها من الأفراد كلا أو جزءا، وقد تكون الايديولوجيا الشخصية غير متأثرة بأي من الايديولوجيات ".[2]

* تقسيم الايديولوجيا إلى مفتوحة ومغلقة ويعتمد هذا التصنيف على التفريق بين الايديولوجيات المتفاعلة والقابلة على التعاطي مع غيرها وتبادل التأثير معها، وبين تلك التي تفتقد إلى هذه الخصائص وقد ميز جيتر برج بين الايديولوجيا المفتوحة والمغلقة " ويقصد بالايديولوجيا المفتوحة

[1]– أحمد محمود صبحي وصفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة، ص 210.

[2] - James C scortt, political ideology in malysia, reality and the Belief of an elite. university of malya press, kuala lampur, 1968, p31

تلك التي تتعلم من بعضها وتتقبل النقد الداخلي، وتعترف بنظرتها الخاصة، وتستعير الأفكار وتتبادلها، وذلك بعكس الايديولوجيا المغلقة التي تطالب بالاعتراف الكامل، ولا تقبل لذلك بديلا "[1]، كما يعني

" جيتر برج " بالايديولوجيا المفتوحة الليبرالية والمحافظة، والاشتراكية غير الشيوعية بينما يقصد بالمغلقة تلك التي تمثل الشيوعية البلشفية.

* تقسيم الايديولوجيا إلى (كلية وجزئية) يميز كارل مانهايم الذي اعتمد هذا التصنيف لأول مرة بين الايديولوجيا الجزئية، والتي تعني ما يساورنا من شك إزاء آراء وتصورات المعارضين لنا، فتعتبر أقنعة تحجب حقيقة الوضع الاجتماعي، لأن المعرفة الحقيقية بتلك الوضعية تتعارض مع مصالح المعارضين، وبين الايديولوجيا الكلية التي تضع رؤية الخصم الكلية للعالم موضع التساؤل.

* تصنيف الايديولوجيا إلى (شاملة ومحدودة) يميل هذا التصنيف إلى الاعتماد على معيار البساطة والتركيب، لتحديد مدى انضواء الأخص في الأعم في هذا السياق ويميز ماكري بين الايديولوجيا الشاملة والمحدودة "، فلكل مجتمع مستوياته، فالمجتمع الأكبر له اديولوجيته الشاملة على الرغم من تكويناته الداخلية الأدنى، مثلما توجد ثقافات فرعية ضمن الثقافة العامة فالصفة الجامعة المشتركة في التصورات والقيم الجماعية تنم عن ايديولوجيا شاملة، وهكذا فإن المجتمع الذي حقق ترابطا ممتدا يظل يحافظ على وحدته بصرف النظر عن التراتبية والطبقية التي تنتظمه، والتي تطور ثقافتها الفرعية، وبالتالي وعيها الخاص، ضمن الوعي والايديولوجيا الشاملة".[2]

* تصنيف الايديولوجيا إلى علمية ودارجة ويركز هذا التصنيف على وظيفة الايديولوجيا في تعزيز التضامن والهوية، ويعود هذا التصنيف إلى دافيد أبتر " الذي يميز بين الايديولوجيا الدارجة وتتمثل أهميتها في توكيد الشخصية وربط البنى الاجتماعية ببعضها القديمة منها والجديدة، ويتوقف بقاؤها على فعاليتها وقيامها بدورها وتتميز بأنها برامجية وتفسيرية والايديولوجيا العلمية، وهي مهنية وأساسها التخصص، وتستمد سلطتها من التفوق المعرفي، وترتبط بمفهوم البحث الحر، ومع ذلك فهي تقوي حس الواجب، ولها أفكارها الضامنة والمعبرة عن الميراث الفكري لذا فإن هذه المهنية تقوم بدور

[1] - M. Ginsberg: focts and Valeur, in Advancement of science, Vol 21, n 81, p 118.
[2]-Macrea Donald, ideology and society, Heniman, 1961, p (72-76).

تضامني منظم، ولكن الايديولوجيا العلمية تقلل من دور المعتقدات والعلاقات الحميمة التي تنشدها الايديولوجيات الدارجة".[1]

التصنيفات النوعية:

ونعني بها تلك التصنيفات التي تربط بين الايديولوجيا وموضوعها، أي مجال كل منها الخاص، وهنا يكتسب التصنيف تقسيما يربط كل ايديولوجيا بحقلها وخصائصها المحددة، فلا يتم إدراج الايديولوجيات ضمن تصنيف تحليلي أوسع ومن بين هذه التصنيفات نذكر:

" تصنيف "ناصيف نصار" حيث قابل نصار بين معايير التصنيف وبين أنواع الايديولوجيات على النحو التالي ":

* الجماعة التي تعبر الايديولوجيا عن وجودها قومية، طبقية، طائفية، فئوية...الخ؛

* العلاقة بين الفرد والمجتمع ليبيرالية، اشتراكية، شيوعية، فوضوية؛

* الموقف والنظام القائم محافظة، ثورية إصلاحية؛

* اتساع النظرة ومدى إحاطتها شاملة أو جزئية؛

* قيمة الزمان التاريخي تقدمية، مستقبلية، رجعية، سلفية".[2]

" تصنيف "نبيل السمالوطي" تتشابه المعايير التي وضعها السمالوطي مع تلك التي وضعها " نصار " مع اختلاف فيما يقابلها من أنواع وذلك على النحو التالي:

* الجماعة التي توجه إليها الايديولوجيا ايديولوجيا موجهة لجماعة، أو للمجتمع أو ما بعده، مثل: ايديولوجيا الطبقة، القومية، أو الوحدة الوطنية أو العالمية؛

* العلاقة بين الايديولوجيا والقوة الاجتماعية داخل المجتمع، وهي التي تعبر عن الجماعة المستحوذة على القوة؛

[1]- Apter David, ideology and discontent, The free, 1967, p (12-43).

[2]– ناصيف ناصر، مطارحات العقل الملتزم، دار الطليعة، بيروت، ط (01)، 1986، ص ص 94-95.

* أسلوب الفعل والإجراءات المراد تحقيقها السعي إلى التغيير بالتدرج والإصلاح (ايديولوجيا الإصلاح) ؛

* المضمون الاديولوجيا الرجعية، المحافظة والتقدمية".[1]

[1]- نبيل السمالوطي، الايديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1975، ص ص 215-216.

الفصل الأول

الايديولوجيا والفلسفة والواقعية الاشتراكية

1- الايديولوجيا وعلاقتها الفلسفة
2- الايديولوجيا الاشتراكية والرواية
3- الواقعية الاشتراكية بين بن هدوقة و الطاهر وطار
4- الرؤيا الواقعية في رواية ريح الجنوب

الفلسفة والايديولوجيا:

إن حديثنا عن الفلسفة وأهميتها في تشكيل الوعي بالسؤال، يروج لنا تنمية الحس النقدي بالعالم وبالفكر، فالفلسفة ليست سوى محاولة للكشف عن الحقيقة الواقعة في قلب الوجود الإنساني، سواء نجحت في ذلك إن لم تنجح، ولهذا فإن أسئلتها في أسئلة الواقع نفسه، أسئلة الإنسان الذي تؤرقه مشكلات وجوده، ولما كانت الحقيقة سيرورة في ظهورها ولن تصل إلى نهايتها وقابلة للدحض والتجديد والقطيعة فإنها: أي الفلسفة لا تقف في أي مرحلة من المراحل عن تجديد أسئلتها وأجوبتها، فالوجود الإنساني، التاريخي هو تعينات قومية ثقافية اقتصادية اجتماعية، ولهذا فالفلسفة ذات علاقة صحيحة مع هذا الوجود وأشكال وعيه في العلوم الأخرى ومن هنا تتحدد وظيفة الفلسفة بوصفها وسيلة التنوير بلا منازع وتمايزها عن أشكال الوعي الأخرى.

وأحد الأدباء ومن دارسي الفلسفة يقول إنك تعطي الفلسفة هنا وظيفة ايديولوجية، فهل هناك علاقة بين الفلسفة والايديولوجيا ؟

" إن الايديولوجيا هي نمط من الوعي يعكس الأهداف العلمية للفئات والطبقات الاجتماعية أو الأمم، وتتحول إلى محرضة للسلوك الاجتماعي – السياسي "[1]، أي أن المصالح الآنية للبشر غالبا ما تختفي وراء الايديولوجيا، حيث أن لغة الخطاب هنا ليست بالضرورة متطابقة مع المصالح وإن كانت تعبر عنها "، " ثم أن هناك علاقة مباشرة في بعض الأحيان بين الايديولوجيا والمصلحة وبالتالي لا تعتبر الحقيقة مطلبا من مطالب الايديولوجيا وإن كانت الايديولوجيا تتحول إلى حقيقة مطلقة بالنسبة إلى معتنقيها "[2]، ولهذا فإن الخطاب الايديولوجي جامع لكل تناقضات الوعي، حيث تجتمع فيه النزعات العقلانية واللاعقلانية، والبرهان والإيمان العاطفي والمنطقي الأسطوري والتاريخي.

إن الايديولوجيا إن تستعير من كل أشكال الوعي مادتها المعرفية من العلم والدين والفلسفة والتاريخ فإنها تقوم بترتيب ما بين هذه المواد المعرفية، وعندها تكون حاجتها إلى الفلسفة كبيرة لكي تعطي لنفسها طابقا كليا عاما، " إنها تأخذ من الفلسفة بعض مفاهيمها بعد أن تفقدها دلالتها الفلسفية ووظيفتها الفلسفية وتحولها إلى وظيفة إيديولوجية، هذا ما فعلته الفاشية عندما أخذت فلسفة

[1]– أحمد برقاوي ، الفلسفة والايديولوجيا، صحيفة العرب، الصادرة يوم الثلاثاء 2016/08/30.
الفلسفة و الايديولوجيا/https ://alarab.co.uk

[2]– أحمد برقاوي: الفلسفة و الايديولوجيا/https : //alarab.co.uk

الدولة من هيغل، وهذا ما فعلته النازية عندما استعارت مفهوم السوبرمان من نيتشه، وهذا ما فعله فوكوياما عندما أخذ عن الفيلسوف الروسي الفرنسي كوجيف تطويره لفكرة نهاية التاريخ الهيغلية".[1]

هذا يعني أن الايديولوجي بحاجة إلى الفيلسوف كي يعزز أطاريحه الإيديولوجية بفكرة فلسفية كلية ولكن بعد أن يقتلعها من سياق الفلسفة وسكنها منظومته الإيديولوجية وإن كان الايدولوجي محتاجا إلى الفيلسوف فإن الفيلسوف على العكس من ذلك، يسعى لتشكيل العقل متحررا من الايديولوجيا.

المفاهيم الفلسفية للايديولوجيا:

يرجع هذا النوع من المفاهيم إلى التركيز على الجانب النظري واليوتوبي في الايديولوجيا مثال ذلك ما يذهب إليه رايث ميلز حيث يقول " هي إبداعات عقلية أخلاقية تتضمن مثلا عليا وشعارات بسيطة ووقائع ملتبسة ودعاية فجة، ونظريات مركبة "[2]، في نفس السياق يذهب مارك هاكوبيان إلى أن الإيديولوجيات هي " استخدام مبرمج وبلاغي لبعض النظم الفلسفية مصطنعة والذي من شأنه حث الناس للفعل السياسي الذي يمكن أن يوفر دليلا استراتيجيا لذلك الفعل "[3]، فهذا الشرح المبسط هاهنا أو هذا التعريف نلاحظ من خلاله ربط شامل بين الفلسفة والسياسة فالبرامج ومواقع الايديولوجيا أحيانا ما تكون تشير إلى أغراض سياسية حيث أنها تأخذ من النظريات الفلسفية قاعدة وبرنامج انطلاق لها.

علاقة الايديولوجيا بالفلسفة:

تتداخل الفلسفة مع الايديولوجيا في علاقة تشابه فضلا عن اختلاف كل منهما عن الأخرى فعن أوجه الاختلاف بين الايديولوجيا فترتكز في أمرين:

" خارق من حيث المضمون: فنظريات أرسطو في الطبيعة وما بعد الطبيعة...الخ فلسفة في حين أن رأيه بأن شعوب الشمال تتصف بالشجاعة دون الذكاء وشعوب الشرق تتصف بالذكاء دون الشجاعة، والشعب اليوناني وحده يتصف بالشجاعة والذكاء معا، إنما يعبر عن الايديولوجيا.

[1]– أحمد برقاوي، الفلسفة والايديولوجيا، صحيفة العرب، الصادرة يوم الثلاثاء 2016/08/30.
الفلسفة و الايديولوجيا/https ://alarab.co.uk

[2]- C.Wright Mills, The maxrtist, Dell PublIcation co.N.4.1978.p1.
[3]- Haqopain Mark, Regimes government and ideologies, long man. N4.1978, p 390.

– من حيث الشكل:

تهتم الايديولوجيا بالشعبية والجماهير، أما معظم الفلاسفة فلا يسعون إلى أن تكتسب نظرياتهم شعبية بين الجماهير، بل أن بعضهم ظن على العامة بفكرة خشية سوء الفهم "[1]، مثل أفلاطون الذي ذهب إلى أن نظرية المثل قد تثير دهشة المستمعين ويقول بين الحمقى يكون الفلاسفة غرباء ومن جهة أخرى فإن المذهب الفلسفي مقصور على قلة من الأتباع هم صفوة مثقفين وإن امتد إلى الجماهير، فإنه يتخذ صورة مهزوزة تسيء إلى المذهب كما حدث بالنسبة للوجودية والايديولوجيا تسعى إلى العالمية وتقيم جسرا من البرامج والخطط بين الفكر والتطبيق.

– أما عن التشابه بين الايديولوجيا والفلسفة فالإيديولوجية نتاح مفكرين بل فلاسفة شأنها في ذلك شأن أي مذهب فلسفي، إلا أنها في الأخير تتجنب إلى تبرير أوضاع قائمة معبرة عن مصالح طبقة معينة.

وقد عمل حامد عبد الله ربيع على التمييز بين الايديولوجيا وغيرها من المفاهيم التي تتداخل معها حسب الآتي:

" عقيدة + تبرير = فلسفة سياسية

عقيدة + حركة = إيديولوجية سياسية

منهاجية تحريرية + تبرير = علم سياسي

منهاجية تجريبية + حركة = نظرية سياسية "[2].

فالأفكار عندما ترتبط بالحركة تصبح ايديولوجيا ولكن الحركة عندما ترتبط بالمنهاج العلمي " للتحليل السياسي ترتفع إلى مرتبة النظرية السياسية، وكذلك بمجرد التفسير يدور في تلك العقيدة فهو فلسفة، ولكنه إذا ارتفع إلى مرتبة التفسير القائم على أساس المنهاج التجريبي "[3]، هذا لا يعني بأنه من السهولة التمييز بين الفلسفة والنظرية والايديولوجيا بشكل مطلق، فهذه الأخيرة تحتوي مجموعة من الفرضيات قيمية والتجريبية حول الإنسان والمجتمع، فهي بالتالي تتصل بالفلسفة وبالنظرية أيضا

[1]– أحمد محمود صبحي وصفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2000، ص ص 203-204.

[2]– مالك عبيد أبو شهيوة وآخرون، الايديولوجية والسياسة ، الدار الجماهرية، ليبيا، 1993، ص ص67-69.

[3]– مالك عبيد أبو شهيوة وآخرون، الايديولوجية والسياسة، ص 70.

وأكثر من ذلك، فإن بعض الأفكار السياسية لبعض المفكرين كانت أساسا لإيديولوجيات مثل أفكار هيغل ومساهمتها في بناء الاشتراكية الألمانية، وأفكار ماركس ومساهمتها في بناء الشيوعية العالمية أو أفكار جون لوك وأثرها في بناء الليبرالية في القرن 19.

وفي الأخير أن العلاقة بين الفلسفة والايدلوجيا هي علاقة متشابكة ومتداخلة وهامة في نفس الوقت ولا نستطيع أن نغض الطرف عنها أو نتجاهلها "، وهذه العلاقة محورية لكون الفلسفة والايديولوجيا تركزان على المعرفة وتؤثران في الإنسان ومستقبله فالبعض من فلاسفة يروا أن الايديولوجيا عندما تدخل على الفلسفة تفسدها والبعض الآخر يرى عكس ذلك "[1]، وعليه فالعلاقة بينهما من خلال الدراسات التي ولجنا التحدث عنها نستنتج بأن العلاقة بين الفلسفة والايديولوجيا علاقة متداخلة ومركبة لا نستطيع أن نفصلها عن بعضها البعض وهذه العلاقة هي من الأهمية بمكان حتى أننا لا نستطيع أن نفصلها.

الايديولوجيا والواقعية الاشتراكية:

لقد نشأت الواقعية الاشتراكية ردا على الرومانسية، والواقعية النقدية المتشائمة هي نظرة فلسفية واجتماعية تشمل كل فروع المعرفة والحياة، فقد اهتمت بالأدب الواقعي ووجهته وجهة تناسبها، ووجدت فيه خير مصور للواقع.

ولقد ازدهرت الاشتراكية في روسيا خلال القرن التاسع عشر، وزادت قوة وانتشارا، بعد انتصار ثورة 1917، وانتقلت إلى البلدان الاشتراكية الأخرى في القرن العشرين.

فالواقعية الاشتراكية تصور لنا الصراع الطبقي بين طبقة العمال والفلاحين وطبقة الرأسمالية والبورجوازية وانتصار الأولى التي تحمل الغير على الثانية التي هي مصدر الشرور، رفض أي تصورات غيبية، فالنشاط الاقتصادي هو أساس الإبداع الفني، لذلك يجب توظيف الأدب لخدمة المجتمع حسب المفهوم الماركسي " المبادئ الثلاثة التي تقوم عليها رواية الواقعية الاشتراكية كما حددها.

1- تتيح فهما جماعيا للظاهرة الاجتماعية في تحليل الواقع من خلال معيار عقائدي

2- انهيار الهياكل التقليدية ومظاهر الفساد والتخلف والتأكيد عليها

[1]- عماد الدين ابراهيم عبد الرزاق، صحيفة ايلاف، الصادرة يوم الأحد 27 مارس، 2017، 07:00.
https ://elaph.com/web/opinion/2016/03/1097829.html

3- الثقة في المستقبل والتأكد من أنه يمكن أن يتحقق من خلال الكفاح الاجتماعي".[1]

بروز الايديولوجيا الاشتراكية:

إن الماركسية " ممارسة سياسية ونظرية اجتماعية مبنية على أعمال كارل ماركس، سميت بالماركسية نسبة إلى منظرها الأول كارل ماركس أسس نظريته الشيوعية العلمية بالاشتراك مع فريديريك انجلز وتوصل الاشتراكية إلى تطور حتمي للبشرية وفق المنطق الجدلي".[2]

" وانتقل لوكاتش إلى الماركسية بعد الحرب العالمية الأولى، ليدخل في عمل سياسي ومع أنه حاول كتابة نظرية ماركسية للرواية، فإنه ظل أسيرا للمفاهيم الهيجلية"[3]، ولعل الرجوع إلى نصوص هيغل كما بين الفرنسي كلود بريفو في مقدمته لكتاب لوكاتش " كتابات موسكو " يكشف ما يدين به إلى الفيلسوف الألماني الكبير، وهكذا تكون الرواية امتداد لملحمة، أي برجوازية تهدف كالجنس الأدبي الذي جاءت منه، إلى تمثيل العالم، يعد أن هدم المجتمع البرجوازي وفصل بين الإنسان والمجتمع.

اعتمد لوكاتش بأفكار ماركس وانجلز وهو يؤسس لنظريته عن الرواية والتي هي وجه آخر لنظريته عن الواقعية،" قضايا رئيسية ثلاثة هي (زمن الرواية، دلالة الرواية، بنية الرواية) الأولى : تربط بين الرواية والمجتمع البرجوازي، والثانية: زمن الصراع بين الطبقات".[4]

إن الصراع الاجتماعي هو دلالة الرواية وفيه تجاوزت ظاهرة الواقع ونفذت إلى جوهره، وجوهره هو الصراع الذي يعيد صياغته في جملة مفاهيم هي (الكلية، الواقعية، المعرفة، التقدم) والكلية تقود إلى مفهوم الواقعية التي ترصد تناقضات المجتمع البرجوازي، ويرى أن الشكل الروائي هو شكل واقعي

" إن كانت الواقعية، أي الأدب العظيم، ترى في المجتمع البرجوازي المجتمع العادل الذي يعقبه فإن كان الشكل الروائي أن يعبر عن التاريخ في المصادر البشرية التي تعكسه، تصوره هذا يجعل الرواية الواقعية والتاريخ مرايا متقابلة".[5]

---

[1]- محمد الباردي، الرواية العربية والحداثة، ج01، دار الحوار، سوريا، الطبعة الثانية، دت، ص 20.

[2]- ويكيبيديا الموسوعة الحرة: الواقعية الاشتراكية.

[3]- فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة(02)، 2002، ص 26.

[4]- فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ص 27.

[5]- المرجع نفسه، ص ص 29-30.

الروائيين الاشتراكيين:

-مكسيم غوركي 1868-1936 عاصر الثورة الروسية الشيوعية ومؤلف قصة الأم.

-مليا كوفسكي 1812-1930 شاعر الثورة الروسية وقد مات منتحرا.

-لوركا شاعر اسباني 1898-1936.

-جورج لوكاتش، روجيه جارودي مفكر فرنسي " ومن أعلامها أيضا تشرفسكي 1889، والذي نفي إلى سيبيريا بسبب أفكاره، وهو أحد الداعين إلى ثورة الفلاحين والنضال في وجه السلطة وكذلك بيلنسكي 1848 من أوائل منظريها وهو مؤسس علم الجمال الواقعي".[1]

الواقعية الاشتراكية:

هي واقعية ماركسية، فإذا كانت الطبيعة الوجه المتصلب للواقع، تكون الواقعية الاشتراكية الوجه المتصلب لما كان يدعي الواقعية النقدية عند بعض الروائيين في القرن التاسع عشر وبخاصة ترلستوي وهي عبارة منقاة من الفلسفة تارة أخرى، وهو تصوير واقع معاصر لا يتصف بالترفع والحياد كما نجد عند فولير.

" فالواقعية الاشتراكية تقوم على تفريق صارم بين تزييف الذاتية وتقويم الجدل الذاتي موضوعي".[2]

جورج لوكاتش في كتابه :" معنى الواقعية معاصرة 1957 "

وهناك نظرية ترى أن اللغة ليست محض صورة الواقع بل أداة يتحقق الواقع بموجبها يغدو حقيقيا، " وتحمل في تضاعيف بنائها الإعلاني مادة الحقيقة تعترف الواقع ضميرا للأدب لأنها مدينة واجب، أو نوع من التعويض اتجاه عالم الواقع، عالم واقعي تخضع إليه من دون جدال، والواقعية إذن تركيبة فنية تفهم الواقع بشكل بعينه فتقدم صورة مزيفة عنه".[3]

---

[1]- ويكيبيديا الموسوعة الحرة: إعلام الواقعية الاشتراكية.

[2]- موسوعة المصطلح النقدي، (الواقعية، الرومانسية، الدرامة والدرامى الحبكة)، ترجمة: د.عبد الواحد لؤلؤة، المجلد 03، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1983، ص128.

[3]- مرجع نفسه، ص35.

الإيديولوجيا الاشتراكية والروائية الجزائرية:

لقد واكبت الرواية الجزائرية الواقع، ونقلت مختلف التغييرات التي طرأت على المجتمع بحكم الظروف والعوامل التي أسهمت في إحداث هذا التغيير، ومن الملاحظ أن الرواية الجزائرية قد صبغت بصبغة ثورية، خاصة الثورة ضد الاستعمار، كما سايرت النظام الاشتراكي، وقد كان أول عمل في الأدب الجزائري ينحو نحوا روائيا هو "حكاية العشق في الحب والاشتياق "، ويضاف إليه عنوان فرعي في الأصل " وما جرى لابن الملك الشائع مع زهرة الأنس والتاجر " حققها للنشر أبو القاسم سعد الله، والفترة التي كتبت فيها سنة 1749 أما كاتبها " محمد بن إبراهيم " " والذي يدعى الأمير مصطفى، كان جده مصطفى باشا دايا وكان والده إبراهيم من الذين لعبوا دورا في مواجهة الاحتلال الفرنسي على المستوى السياسي".[1]

" وساعد الأدباء الجزائريين الذين يكتبون باللغة العربية ظرف خاص، زيادة على الأجواء الثورية التي فرضها عليها الواقع كذات مستقلة، عن وعيهم استفادة بعضهم من الكتابات الفرنسية من هنا كانت " غادة أم القرى " لأحمد رضا حوحو ظهرت سنة 1947".[2]

والفترة التي تمتد من (1945-1954) إلى سنة 1962 إذن ليست تحولا جذريا في التاريخ النضالي للجزائر، فحسب، ولكنها كذلك أخصب فترة في المجال الأدبي على الإطلاق قبل الاستقلال فهي التي شهدت اكتمال فن القصة والرواية فقد ظهر إلى جانب رضا حوحو رواية " الطالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي سنة 1951، رواية " الحريق " لنور الدين بوجدرة، التي طبعت سنة 1958 بتونس، ورواية " صوت الغرام " لمحمد منيع سنة 1967.

" هناك بذور بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت يمكن أن نلاحظ فيها بدايات للرواية سواء في موضوعاتها أو في أسلوبها وبنائها الفني".[3]

فهناك قصة طويلة كتبها أحمد رضا حوحو (غادة أم القرى) أول رواية أو قصة طويلة تقوم بتصوير ونقد المجتمع، وغرض الكاتب هو تلبية نداء الوطن والاستغاثة بالدين.

---

[1]- عمر بن قتيبة، دراسات في القصة الجزائرية دار الأمة، الجزائر، د ط، 2009، ص ص 181،182.

[2]- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 81.

[3]- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط ت، ص 237.

كم " عالجت الجانب النفسي والعاطفي والعملي، فمظاهر الإصلاحية الاجتماعية في كتاباته تقوم على ثقافة المكان، حوار منعدم".[1]

الرواية موضوعها وضع المرأة في الحجاز، وقد أهدى حوحو روايته إلى " تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب، من نعمة العلم، من نعمة الحرية إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى ".

فاعتبر دعوة المرأة إلى التمرد "وهذه المواقف المحافظة حالت دون إقبال الكتاب بالفرنسية والعربية على القصة الطويلة إقبالا مثابرا".[2]

إن الأدب الجزائري صور الواقع بكل صدق وإيمان في أعمال أدباء آخرين كان لهم السبق وهذا ما نجده في ثلاثية محمد ديب، كانت نبوة صادقة عن الثورة رغم من أن صاحبها كتبها بغير العربية، وطبيعي جدا أن يكون الكتاب الجزائريون جميعا، " قد أدركوا أن التاريخ والأدب شيء واحد " مالك حداد، فهو يحاول أن يثبت حقيقة هذا الأدب، ومدى، التصاقه بالواقع الجزائري وبالثورة الوطنية العظمى.

لقد صرح محمد ديب في روايته الحريق قائلا " لقد استولوا على كل شيء إنهم يريدون أن يصبحوا سادة أيضا لقد جعلوا من واجبهم الحقد علينا وهاهم أولا ينتزعون كل يوم قطعة من لحمنا فيبقى مكانها جرح عميق لتسيل من حياتنا".[3]

وهناك رواية صيف إفريقي صدرت عام 1959 يتجاوز به محمد ديب فنيا مرحلة " البيت الكبير " كما تتميز بمضمون إنساني عميق، يعمد محمد ديب في اختيار نماذجه البشرية من الجزائر كلها، لا من طبقة دون أخرى ولا من فئة دون أخرى.

يختار التاجر وصاحب الأرض والموظف الصغير والطالبة والخادمة.

" وهكذا فقد أرسى محمد ديب ورفاقه كاتب ياسين في روايته " نجمة " مولود فرعون في روايته " ابن الفقير " آسيا جبار، مالك حداد، لبنات الواقعية الانتقائية في الأدب الجزائري خلال مرحلة الثورة".[4]

---

[1]- عبد المالك مرتاض: فنون النشر 1932-1975، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط ت، ص 23.

[2]- نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، ط (01)، يناير 1981، ص 412.

[3]- محمد ديب: الحريق.

[4]- ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، الواقعية في الأدب الجزائري.

نشرت رواية " الطالب المنكوب " لعبد المجيد الشافعي، وكذلك " الحريق " لنور الدين بوجدرة بتونس عاشوا خلالها في البيئة التونسية، واندمجوا في الوسط الاجتماعي والفكري، كما أن كتاباتهم لم تخل من ذكر الملحمة المتأصلة بين الشعبين " نرى في رواية الشافعي أن بطل روايته عبد اللطيف عاش ظروفا صعبة قاسية وحلمه الكبير في إكمال دراسته دفعه إلى التفكير في مغادرة البلاد إلى تونس بعد بيع كل ما يملك، فيصادف أحداثا غريبة أثناء سفره منها ضياع بطاقة السفر، ومشيه في الليل هائما حائرا، فيتلقى شرطي يدخل السجن بعد اتهامه بالسكر، ولكن تثبت براءته، كل هذا جعله يصبر في عزيمته ودون استسلام فتحين له فرصة التعلم بكلية الزيتونة بعد التقاءه بشاب تونسي عبد الودود فيرشده إلى الطريقة للالتحاق بالكلية، وبعد توالي الأحداث يتعرف إلى حبه العفيف لطيفة وينقذها من الغرق، وفي الأخير يتزوجها"[1]، وبعد اطلاعنا على فصول هذه الرواية تقف على مدى وواقعية الأحداث وتجربة الطالب.

إن صدى الثورة ببعدها الانفعالي هو الذي طبع معظم الكتابات، مما جعل الكتابة تنحو منحى رومنسي تعليمي وواقعي واجتماعي.

هناك بعض الاتجاهات ترى الثورة أقرب للواقع، ويقال إن القيمة المميزة للرواية تتبع ما تقترحه على الإنسان لا من الشعارات السياسية ولا من المطالب، والأديب يعبر عن إيديولوجية ما بأسلوب خفي عن كل شيء إلا على التحليل.

الفترة التي برز فيها البعد الاجتماعي في الإبداع وفي المحاولات النقدية على حد سواء، هي فترة السبعينات إلى درجة أن الخطاب الرسمي وهو الخطاب الواقعي الاشتراكي (الايديولوجيا الاشتراكية) قد انعكس بطريقة شبه آلية.

" رواية " ريح الجنوب " عبد الحميد بن هدوقة، " اللاز " الطاهر وطار، من الكتابات التي لم تبقى في حدود التعاطف والوصف بل تجاوزت ذلك إلى النقد".[2]

[1]- عبد المجيد الشافعي: الطالب المنكوب، (قصة غرامية منكوبة)، مطبعة الشريف، دار المكتبة العربية، تونس، دط، 1937-1951، ص ص 400-401.

[2]- مخلوف عامر: الرواية والتحولات في الجزائر، دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، د ت، ص 14.

إن الفترة التي تلت الاستقلال مكنت الروائيين من الانفتاح الحر على اللغة العربية " بمعنى الرواية الجزائرية، اكتسبت ملمحها الفني، فلجأ الكتاب إلى كتابة رواياتهم للتعبير عن الواقع بكل ميزاته وذلك بالرجوع إلى الحديث عن الثورة، أو معالجة القضايا التي مست الحياة الاجتماعية التي تجلت ملامحها من خلال التغيرات الجديدة التي طرأت على الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية.[1]

إن الطابع الذي تتسم به النصوص الروائية في فترة الاحتلال هو تسجيل أخطاء الثورة ومناقشة التاريخ والواقع الراهن ومن الجدير أو الطبيعي أن تكتسي ثقافة الرواد منحى اجتماعيا.

لقد واكبت الرواية الجزائرية النظام الواقعي الاشتراكي وهذا ما نجده في أعمال الطاهر وطار وعبد الحميد بن هدوقة، ومحمد عرعار بظهور هذه الأعمال أمكننا الحديث عن تجربة روائية جزائرية جديدة، " وهي نفسها المرحلة الفعلية لظهور رواية فنية جديدة، يرى بعض الباحثين أن رواية ريح الجنوب قد تكون أول رواية جزائرية ظهرت بالعربية في عهد الاستقلال سنة 1971".[2]

زيادة على اكتسابها لشروط الفن الروائي، تعالج موضوعا اجتماعيا واقعيا يهم الجماهير الواسعة من الشعب الجزائري موضوعها الريف الجزائري بما يطبعه من قساوة الطبيعة، وتطلبه من صبر ووفاء وتضحية ويشكله من نفسية ساذجة ومختلفة في بعض الأحيان.

بالإضافة إلى كل ما قيل عن الواقعية الاشتراكية أو الايديولوجيا الاشتراكية وما رصدنا الحديث عنه بالتفصيل بالروايات الجزائرية والتونسية وحديثنا عن توظيفنا للواقعية والنظام الاشتراكي في روايتها وهذا كله لا ينفي حقيقة وقوعها في تلك الفترة آنذاك وكذلك التفسير المبسط والمصغر والشرح الوجيز الذي تطرقنا له من خلال بعض الرواة وملخص عن روايتهم يمكننا رصد روائيين الجزائريين كان لهما الدافع والتمكن من الارتباط بين الواقعية الاشتراكية والمبنى الروائي ابن هدوقة في رواية ريح الجنوب والطاهر وطار.

الواقعية الاشتراكية بين ابن هدوقة والطاهر وطار:

لقد كتب ابن هدوقة رواية ريح الجنوب في فترة الحديث عن الثورة الزراعية فأنجزها مساندة للخطاب السياسي لفك العزلة عن الريف الجزائري والخروج به إلى الحياة أكثر تقدما وازدهارا ورفع

[1]- مخلوف عامر: المرجع السابق، ص ص 20،21.

[2]- ينظر: عبد الله الركيبي، النثر الجزائري الحديث، نشر معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، د ط، 1976، ص 99.

البؤس والشقاء عن الفلاح ومناهضته كل أشكال الاستغلال " إن هذه الرواية عبرت قبل كل شيء عن تجارب بين شخصيات مختلفة في محيط ريفي يتأرجح في بحر من الهرم والمشاكل متأملا في تغيير جذري فمجدت ريح الجنوب الثورة الزراعية".[1]

كل ظرف في الرواية كان له دور في سير الأحداث وتوضيح نفسية أفراد المجتمع الريفي المتمثل في:

(المرأة، السلطة، الثقافة)، هذا عن الجو الاجتماعي الذي كان يحيط بالقرية الجزائرية.

الفرق بين ريح الجنوب واللاز:

ريح الجنوب: كان فيها اهتمام ابن هدوقة اجتماعي واضح، غير أن ميل الكاتب إلى الأسلوب الواقعي من وصف تقاليد القرية ونفسية أهاليها، المحافظة التي يمثلها ابن القاضي والعجوز رحمة.

اللاز: تطرح بكل واقعية قضية الثورة الوطنية لا من وجهة التحالفات المنطقية لقوى الثورة، ولكن كذلك من جهة التناقضات الداخلية.

أما الروايات الأخرى إلى جانب رواية ريح الجنوب واللاز، نجد طيور في الظهيرة والطموح وما لا تذروه الرياح، " هي جملة من الروايات الواقعية التي تهتم بالتحديد والوصف"[2]

الرؤيا الواقعية في رواية "ريح الجنوب":

لقد استطاع جل الروائيين أن يجعلوا من الواقع لغة تساعدهم على التعبير عن قيمتهم وأفكارهم وتقاليدهم وقد شكل ظهور الواقعية منعطفا حاسما في تطور الأدب الجزائري المكتوب بالعربية على مستوى المضمون حملت بذلك بذور الاتجاه نحو الواقعية شهدت على أوضاع وتفاعلت معها في مجتمع ما زال محافظا يأبى مس تقاليده، سعت إلى تغيير الظروف والأحداث حيث تمكن الكتاب من فرض أنفسهم على الساحة الأدبية خصوصا بعد الاستقلال " اتخذت لنفسها صورا جديدة في مختلف الميادين حيث انطلق الكاتب من مشكلة الأرض والملكية الزراعية سعى بذلك لتحقيق توازن بين

[1]- محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، ص 180.

[2]- المرجع نفسه ، ص 12.

الواقع وحياة الأفراد من خلال البناء الاجتماعي وبرزت بذلك عدة أبعاد وتيارات ساهمت في خلق الجو النفسي في الرواية جسدها مشكلة أصحاب الأرض بما تحمله من هموم ووقائع".[1]

وقد عمد الكاتب في روايته إلى استخدام الأمثال التي ساهمت بشكل كبير في نشر الوعي بين أوساط المجتمع الجزائري تنقل لنا صور حقيقية لحياة واقعية ركز على معاناة الشعب وعالج الكثير من الظواهر الاجتماعية على اختلاف أبعادها قدم لنا تفاصيل مجتمع أهل الريف والمدن و " الحديث عن الرؤية الواقعية يقودنا إلى الحديث عن مشكلة غياب البطل الذي تجسد عن الكثير من الشخصيات تختلف عن غيرها حرص الكاتب على استفزاز مشاعر القارئ من خلال أحداث الرواية ومن خلال تفاعلها مع موقفها وأفعالها".[2]

على حد تعبير الأستاذ شكري عياد الناقد إلى أنه يحاول أن يصوغ تجربته من طريق التشكيل الذي استوعب البيئة ووسيلة على التعبير بالحداثة والتفاعل المستمر بين أشخاص القصة والمؤثرات التي تحيط بهم ومن مرتكزات وعوامل الرواية الواقعية اعتمادها على عاملين أساسين " العامل الأول يتمثل في الفن والأسلوب العلمي بروح علمية يصور الروائية المجتمع دون أن يجعله مثاليا.

أما العامل الثاني فيتمثل في تأثر الرواية الواقعية بالاتجاه الرومانتيكي التي استمدت سيماتها من الرومانسية عمدت إلى تعزيز القيم الفردية والتغني بمبادئه تتجلى في مخاطبة الفنان الروائي لمشاعر القارئ وتغذيته".[3]

تعتبر الرواية الواقعية عنصر فعال في الربط بين أجزاء الرواية وركزت نظريتها على الواقع وكشف مبادئ وقيم أخلاقية، إن الموضوع الرئيسي الذي تنطلق منه الرواية وتنسخ على منواله وتأخذ وحدها من الوجود الإنساني تطرح موضوعه بأسلوب تصويري من خلال وصفه وإبراز الجانب الواقعي للعمل الروائي، ووصف المعاناة التي تعيشها نفيسة كونها تؤمن بأن أنوثة المرأة ليست نقصا طبيعيا كما أن ذكورة الرجال ليست كما هو طبيعيا أيضا.

[1]- صالح خرفي، الرؤيا الواقعية في ريح الجنوب، مجلة الثقافة تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، 07-08-10 سبتمبر 1972، ص 42.

[2]- المرجع نفسه، ص 45.

[3]- ويكيبيديا الموسوعة الحرة: عوامل الرواية الواقعية.

وقد أظهر لنا الكاتب سلبية هذه الشخصية وجسد رغبتها في أن يكون لها صدى أو رأي " وهذا ما يظهر في الرواية نظرا لسيطرة الزواج المطلقة والتي لم يكن قرارا حتى في أن تبدي رأيها في زواج ابنتها الوحيدة وهذا ما زاد الشعور بلا واقعية الأحداث المكونة للعرف الاجتماعي".[1]

من المسلم به أن هذا الأسلوب لا يبرز التقاليد الاجتماعية وهذا ما أقره الكاتب " محمد مصايف " والذي جعله موقف غير واقعي شكل اهتزاز للرؤية الواقعية في الإنتاج الروائي من خلال أحداث الرواية بكل جوانبها صور مدى تفاعلها مع الأشخاص والأحداث مع مختلف البيئات الإنسانية.

ولقد اهتم الروائي برسم الجو الخارجي والواقع النفسي للشخصية ووصف ما حدث بعد لقائها برابح واهتم بتصوير المواقف والانفعالات النفسية المحيطة بالشخصية جسدها في سلوكها وتصرفاها وهذا ما ظهر في تعبير قولها " عندما قمت من الفراش أخذت تدور في القاعة ...".[2]

فقد نجح الكاتب في تصوير الواقع النفسي لنفيسة تمثل في تأملها في النجوم والتعبير الشاعري.

وأيضا في قوله: " أخرج من هنا أيها المجرم القذر "[3]، ورغم ما تحمله نفيسة من دوافع الإحساس بالفوارق الطبيعية أضفى عليها طابع التعبير عن الأحداث.

استقى الكاتب شخصياته من البيئة والواقع النفسي والخارجي في أسلوب لا يختلف عن الأسلوب الشاعري التي تبنت رؤيتها للواقع واحتوت النظرة العلمية في تناول قضايا المجتمع.

قوة الواقع والمرأة الريفية:

تحدث الكاتب وأشار خصوصا في سيره لبناء الرواية إلى البطلة نفيسة التي عاشت حالة توتر واضطراب بين وضعيتهما كالمرأة وبين الحالة التي تعيشها الإقطاعية وسجلت لنا في مجملها أحداث الثورة الجزائرية وقد جسدها صراع بين النفسية والمجتمع الريفي وقد لخصها في ثلاثة أطر أساسية من بينها المرأة والسلطة والثقافة التي مثلها كل من المعلم طاهر ومالك حداد، ومن أهم ما يلاحظ من خلال الرواية أنه نادرا ما يتعثر في طريقنا عبارة الإصلاح الزراعي كون الكاتب ركز وسلط الضوء على مكانة ودور المرأة في المجتمع وذلك بعدم إبراز الملامح العامة التي تمثل الطبقة الإقطاعية.

[1]- صالح خرفي، الرؤيا الواقعية في ريح الجنوب، ص 214.

[2]- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[3]- م.ن، ص 214.

" تعتبر قضية المرأة والواقع من القضايا الأساسية التي تساهم في بناء الإنتاج الروائي بما تجسده من عمق للتاريخ وإعطاء صورة عن المجتمع الجزائري باعتبارها متجذرة في التاريخ والتراث العربي".[1]

وقد تعرض الكاتب إلى شخصية " ابن القاضي " الذي يمثل الشخصية الانتهازية وإشارة إلى السلطة الأبوية على مختلف القرارات المتعلقة بأمور العائلة مما يثير تساؤل الكاتب وطرح إشكالات عديدة هل هناك من السمات ما تجعله إقطاعي في قولها: " في الجزائر كان المستقبل وحده هو الذي يهمني أما هنا فأبي هو المستقبل أبي هو مستقبلي ...".[2]

وأيضا انعدام الأخلاق الإقطاعية ويظهر هذا خاصة في تعامله مع الآخرين حيث أعطى صورة ومفهوم غير متكامل بل أخذها بعيدا تسبح في جو من الفلكية بالنسبة لشخصية نفيسة فقد برزت تناقضا في أفكارها تسعى للتغيير والثورة على التخلف في المجتمع ظل محافظا على تقاليده جسد لنا حالة الانقباض والهيجان التي تعاني منها نفيسة في القرية والتي تختلف اختلافا جذريا من العاصمة، وقد تجسد هذا بوضوح في قولها: " إن الدنيا تبدلت يا خالة إن جهل المرأة هو الذي جعلها تحيا بين عبودية الآباء والأزواج...".[3]

إضافة إلى مختلف العوامل الخارجية التي تتحكم في سلوكاتها وتصرفاتها وخصوصا وضعية المرأة العربية التي تمس مختلف الأقطار العربية عامة وطرح الكاتب هذا موضوع الزواج الذي نلاحظه في باقي الأعمال القصصية منها الروائية خلال النصف الأول من القرن وهذا ما جعلها في مجملها تتبنى صعوبة الوضعية التي تعيشها المرأة في مجتمع يكون فيه الرجل الأقوى ويقف موقفها معارضا له، ويتجلى هذا في قوله رابح لأمه: " لا تستطيع أن ترفض فأنا الذي أتصرف هنا"[4]، ولو أنه لم يفتها أن تلاحظ سيطرة الرجل على المرأة في كل موقف مهما كانت الرابطة قوية.

تشغل قضية المرأة حيزا كبيرا في المجتمع وتعتبر العمود الفقري الذي تبنى عليه الرواية والمحرك الأساسي للأحداث، إذ هناك من عارضها وعارض هذا التطور واعتبره خروجا عن الدين والتقاليد وهناك من دافع عن قضية المرأة باعتبارها صداها لم يكن غائب منذ بداية القرن: " حيث أن وضع

[1]- محمد مصايف، المرجع السابق، ص 08.
[2]- عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 120.
[3]- المرجع نفسه، ص 122.
[4]- م.ن، ص 12.

المرأة قبل الاستقلال لم يكن نفسه بعده بموجب الظروف والتحولات خلف وضعية مهزوزة على كل الجوانب وفتح أمامها أبوابا واسعة للتعلم ومساهمة في شتى المجالات هذا من ناحية والواقع الاجتماعي الذي فاق كل التطورات وهذا ما تجلى من خلال العمل الروائي لعبد الحميد بن هدوقة باعتبار شخصية نفيسة الشخصية المركزية النسوية وباعتبارها المرأة الريفية"[1]، وتجلى لنا حقيقة وقوة الواقع من خلال تصويره لرواية واقعية حملت سمات وخصائص المجتمع الريفي بكل أهدافه ومعالمه التي برزت في جنوب الجزائر (الصحراء).

ملخص رواية ريح الجنوب:

صدرت رواية ريح الجنوب للروائي الجزائري عبد الحميد ابن هدوقة بعد الاستقلال ارتبطت في فترة كان الحديث فيها جاريا عن الثورة الزراعية جسدت فيه قضية الصراع الطبقي عبر من خلالها عن واقع المجتمع الجزائري سلط فيه الضوء على الطبقة الكادحة التي تعيشها القرى اندرجت ضمن الإنتاجات الروائية باعتبارها أول نص عربي عالج موضوع واقعي اجتماعي قدمها بشكل ينسجم مع طبيعة النص الروائي في مجمله رسم صور عن الفضاء الإنساني عالج فيها الكاتب الثورة الزراعية.

تجري أحداثها في إحدى قرى الريف جنوب الجزائر، بما تحمله من سيطرة الفكر الإقطاعي من عادات وتقاليد ومعطيات تاريخية نفسية في مجتمع مازال مستسلما لمشاكله يتحرق شوقا إلى التغيير.

حاول ابن هدوقة من خلال روايته أن يطرح عادة قضايا ذات أهمية تشغل حيزا في المجتمع بمصعديها الفني والاجتماعي، لقد أعطى الكاتب رمزا مباشرا للأوضاع المزرية والمأساوية التي تعرفها القرى الريفية ساد فيها جو من السلبية بما فيها الحياة الإدارية والسياسية.

" تنطلق أحداث الرواية بحوار جدلي بين الطالبة نفيسة والأم خيرة والعجوز رحمة، يتلخص مضمونها في تزويج نفيسة لمالك رئيس البلدية وأما إصرار كل من الأم والعجوز رحمة على احترام التقاليد الموروثة عن الأسلاف والتي تخص مكانة في المجتمع بعد الاستقلال ورفضها لهذه التقاليد والثورة عليها".[2]

[1]- عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط4، الجزائر، 1971، ص 13.

[2]- المرجع نفسه، ص 123.

وأمام إصرار عابد ابن القاضي في تزويج ابنته مخافة منه على أملاكه ومصالحه وأيضا على أراضيه خصوصا بعد سماعه بتدشين القرى الاشتراكية حيث كانت نفيسة ضحية مثلها مثل أختها زليخة التي كانت كبش فداء والتي ماتت في حادث أصيب خطأ.

لقد عبرت نفيسة عن رفضها ورغبتها في مواصلة تعليمها بمحاولاتها الهروب عند خالتها التي كانت تقيم عندها أثناء دراستها في الجزائر تتخذ بذلك الطريق الغابي ولكن شاءت الظروف أن تعترض سبيلاها أفعى لدغتها فترت طريحة فيجدها الراعي رابح والذي كان معجبا بها، كان هو الآخر راعيا انتقل للعمل في الحطابة وقطع الأشجار بعد الحادثة التي وقعت حينما طلبت منه نفيسة بلطف أن يوصل الرسالة وبذلك فقد قامت بشتمه في قولها " أيها الراعي القذر".[1]

أمام قساوة الطبيعة بكل ما تمثله من ريح تعصفها في كل الاتجاهات فعندما يعلم عابد ابن القاضي، بأن ابنته متواجدة في بيت الراعي رابح تتسارع نبضات الأحداث وتتأزم وتتجه نحو بيت الراعي ليشهر موسمه البوسعادي على رابح فتسرع الأم لنجدة ابنها والبنت أبيها، وهكذا تزداد مخاوف الأم فتخشى على ابنها الأذى فتقرر طرد نفيسة من البيت وتتجه بالعودة إلى البيت، ومن حين لآخر تتخلل صور الماضي حيث يعود بذكرياته إلى زمن الثورة التحريرية تتعانقها الذكريات هذا ما جسدته الرواية من خلال النهج الاشتراكي الذي دعا إلى تحطيم الأطر الرأسمالية.

وأيضا " فقد جسد الماضي الذي مثلته العجوز رحمة من خلال المرأة الجزائرية التقليدية بفنها وإتقانها للفخار ومهارتها أيضا في إطلاق الحكم والأمثال".[2]

إضافة إلى موضوع المرأة فقد تناول عبد الحميد بن هدوقة جانبا سياسيا وهو الحديث عن الأرض حيث لم يركز أحداث الرواية على هذا الجانب بل جعل موضوع المرأة هو الحدث الرئيس الذي طغى على أجزاء النص.

لقد تجلت من خلال الصراع العنيف بين مستجدات الحاضر ومخلفات الماضي.

إن الرواية قد عكست بوضوح وضع المرأة الجزائرية التي بلغت مبلغا يرثى له في منطقة ريفية يأكلها الفساد وتسودها البطالة ويعوزها التقدم كونها من الطبقات تعيش البطالة التي تنهش العظام

[1]- عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، المرجع السابق، ص123.

[2]- شايف عكاش، مدخل عالم الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائرية، ص 15.

وتتآكلها المشاكل التي تعاني منها البيئة الريفية وهذا ما نلاحظه يتردد في ألسنة الجميع في قوله " ناكلوا القوت ونستنوا الموت".[1]

أما النهاية فهي مفتوحة تنتهي دون تحديد مصير كل من الأب والراعي رابح الذي خيم عليها الصمت الكئيب على أجواء القرية.

إذن فالرواية تصوير للمجتمع الجزائري تعكس الاهتمام بالأرض وارتباطها من خلال الشخصيات المختلفة التي عبرت عن الأحداث وأعطت بعدا اجتماعيا وسياسيا.

لذا فالرواية استمدت سيماها وانطلقت من حدثين رئيسيين هما الأرض والمرأة وجعلهما المحورين اللذان تبنى عليهما الأحداث.

[1]- شايف عكاش، مرجع سبق ذكره، ص 214.

الفصل الثاني

النزعة التاريخية والدينية في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج

1- الايديولوجيا والتاريخ
2- النزعة التاريخية في رواية كتاب الأمير
3- الايديولوجيا والدين
4- النزعة الدينية في رواية كتاب الأمير
5- محتوى الرواية

الايديولوجيا والتاريخ:

لقد أصبح التاريخ في الفكر العالمي المعاصر اليوم ومن وجهة نظر المختصين يعتبر مخبرا للعلوم الاجتماعية، فإذا كان أرسطو مثلا في العصر اليوناني يؤكد بأنه لا علم إلا بالكليات فإن كبار المفكرين المعاصرين المنشغلين بفكرة التاريخ يؤكدون بأنه لا علم إلا بالتاريخ وهذا في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، وإذا كانت الايديولوجيا هي المعتقدات والخصائص الذاتية التي تميز شعبا عن شعب آخر فإنها بذبك تكون جزءا لا يتجزأ من التاريخ باعتبار أن المعتقدات والأفكار والتصورات تشكل جوهر شخصية كل شعب بكل أبعادها الثقافية واللغوية والدينية والاجتماعية عبر مراحل التاريخ والأحقاب الزمانية المتتالية، ومن هنا كان التساؤل المشروع ما هي علاقة الايديولوجيا بالتاريخ؟

" إن البحث عن الكينونة التاريخية لأي مجتمع يعني البحث عن الكينونة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية ولا يمكن الفصل بينهما وفي هذا المعنى يرى فرانسوا شاتليه أن الوعي بالكينونة السياسية ينطوي على الوعي بالكينونة التاريخية، كما أن الوعي بانحلال الكينونة السياسية ينطوي على انحلال الوعي بالكينونة التاريخية ".[1]

ومن هنا يمكننا القول أن علاقة التاريخ بالايديلوجيا والسياسة هي علاقة جدلية وصميمة أو هي بمثابة علاقة المادة بالصور كما يقول الفلاسفة لأنه في حقيقة الأمر ومن البداعة التاريخية وهذا بالنسبة لأي مؤرخ أننا عندما نعمد في أيامنا هذه إلى كتابة تاريخ علمي، فنحن ندون هذا التاريخ في معظم الأحيان على نحو ما تمليه علينا عقائدنا وايديولوجياتنا واختيارنا التي تسعى إلى تكريسها.

فالايديولوجيا سلاح خطير لأنه يتحكم في معتقدات الناس ويوجه سلوكاتهم وفق القيم والمبادئ التي يؤمنون بها ولأن النسق الايديولجي من جهة أخرى وفي كل مجتمع يتيمز " بالايستاتيكية والنمطية والثبات لأنه يتعلق بالفكر والتصورات ومن الصعب تغييره لتحكمه وسيطرته على معتقدات الناس واتجاهات الرأي العام، ولذلك كان النسق الايدولوجي هو آخر ما يتغير في انساق البناء الاجتماعي كله على الرغم من تغير أنساق أخرى لا تتحكم في طبائع البشر".[2]

[1]– جليد قادة، التاريخ والصراع الايديولوجي في الجزائر، صحيفة رأي اليوم، الصادرة يوم 6 مارس 2017، 12:20.
http://www.raialyoum.com

[2]– جليد قادة، التاريخ والصراع الايديولوجي في الجزائر، صحيفة رأي اليوم، الصادر يوم 16 مارس 2017، 12:20.
http://www.raialyoum.com

ولقد برزت هذه العلاقة بين التاريخ والايديولوجيا من خلال عدة روايات رسخها ونسقها العديد من الرواة واعتمدوا عليها في بناء رواياتهم، وكان توفير النزعة التاريخية في الروايات أغلبها من خلال الاستعمار الفرنسي وما خلفه أي الثورة الجزائرية بصفة عامة، ومن هؤلاء الرواة واسني الأعرج الذي كتب رواية بعنوان كتاب الأمير وهي من الروايات القلائل التي كتبت حول الأمير وتاريخه وهي بذلك من الروايات التاريخية التي يلتقي فيها السرد الروائي بالسرد التاريخي ففي هذه الرواية عناصر مختلفة ومتنوعة مستمدة من الوقائع التاريخية ومن حياة أشخاص ففي المرجعية التاريخية التي ألف منها الكاتب روايته معتمدة على تاريخ الجزائر في مرحلة صراع الأمير عبد القادر مع الفرنسيين للغزاة خلال سنوات (1832-1847).

النزعة التاريخية في رواية كتاب الأمير لوانيسي الأعرج:

يتطرق واسيني الأعرج للنزعة التاريخية في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد ويشير بالدور التاريخي الذي قام به الأمير عبد القادر الجزائري في دفاعه عن الجزائر، ويقدم مشهدا موسعا للجزائر قبل الاستعمار وما خلفته النزعة العثمانية الثقيلة عن سوء إدارة وجهل ومجموعة علاقات بدائية بين القبائل ودولة مهدمة حاول الأمير إعادة بناءها قبل أن يفاجئه الفرنسيون بخططهم الاستعمارية، فهنا العنوان مستوحى من التراث يسعى الكاتب من خلال ذلك إلى محاولة تأصيل لشكل روائي يستمد مضمونه من التاريخ، فرواية كتاب الأمير تعود أحداثها إلى الربع الثاني من القرن 19 وتحكي سيرة الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري (26 سبتمبر 1807 – 24 ماي 1883) وتبدأ أحداث الحكاية بمؤشر هو 1832" عام الجراد الأصفر "[1]، وهو تاريخ تولي عبد القادر الجزائري الإمارة وعمره لا يتجاوز الخامسة والعشرين فوقف في وجه الاستعمار وخاض ضده حربا دامت ما يزيد على 15 سنة بمنطقة الغرب الجزائري في الفترة الممتدة ما بين:

1832-1847 ويوجد كذلك توفر للنزعة التاريخية من خلال ذكر الكاتب أحداث الفترة التي نفي فيها الأمير إلى فرنسا ما بين 1847-1853 بعد أن اضطرته الظروف إلى ترك السلاح والتوقف عن الحرب في 23 ديسمبر 1947.[2]

[1]- واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، منشورات الفضاء الحر، ط (01)، نوفمبر 2004، ص 56.

[2]- المرجع نفسه، ص 420.

شخصية الأمير عبد القادر هي معروفة عالميا بمواقفها ويشهد به العدو قبل الصديق يقول مونسيور ديبوش فهنا يفتح الراوي رواية شخصية جون وقت الفجر 28-07-1844 وهي تمتطي قارب صياد مالطي تم تحضيره خصيصا لتنفيذ وصية السيد ديبوش وفي المركب يروي جون موبي قصة السيد القس للبحار المالطي فالراوي الثاني إذن هو جون موبي الذي يعرض سيرة سيده القس من خلال ارتباطه بعلاقة صداقة حميمة بالأمير عبد القادر الجزائري وذلك عبر التركيز على المراحل التاريخية.

يؤسس الأمير لوضعية انتقالية أسسها تحسيس القبائل بدورهم في بناء دولة قوية تؤمن مصالحهم وأمنهم ولا يمكن أن تتحقق إلا إذا تضافرت جهود جميع الفئات وتأسيسا عليه عمد الأمير إلى تشكيل نواة نظامية سياسية تؤسس الإطار العام لدولته حيث " قسم المقاطعة الوهرانية إلى خلافتين: خلافة معسكر وخلافة تلمسان...وعين في كل ولاية مجموعة من الأغاليك على رأس كل واحدة منها آغا يشرف على مجموعة من القبائل التي تقع بدورها تحت وصاية التقاليد الذي يتولى التسيير بالعودة إلى الآغا المرتبط بدوره بالخليفة.[1]

وهناك بعض الأحداث التاريخية يمكن صدها كالتالي:

- 28 جويلية 1864وضع رعاة مونسيور ديبوش في البحر من طرف جون.
- 1838استلام مونسيو هدية تمثال العذراء السوداء البروتيري من يد مونسيور دي كلين.
- 17 جانفي1848 نزع مونسيور الورقة من الرزمانة (جلسة 17 جانفي).
- ليلة 21 ديسمبر إلى 22 نوفمبر 1848 إلقاء القبض على الأمير.
- 21 مايو 1841 محاولة الأمير النوم رغم الصعوبات التي يمر بها.
- 24 صفر 1265 هـ انتهاء لأمير من كتابة رسالته.
- 1832 عام الجراد.
- 18 أكتوبر 1834 انتشار مرض الكوليرا في الجزائر.
- 03 رجب 1248هـ (27 نوفمبر 1832 م) رسالة أمير.

[1]- المصدر نفسه، ص 104.

- 1833 عقد الأمير معاهدة مع دوميشال.
- 07 ماي 1833 الربيع لا يحمل دائما الأخبار السارة.
- 22 جويلية 1834 الرسالة الأخيرة التي بعث بها ابن دوران.
- 30 ماي 1833 إطلاق القذائف من طرف الأمير.
- 22 أفريل 1835 خروج الأمير باتجاه المدية.
- 10 أوت 1835 بدأت الحرب الفعلية.
- 23 من شهر الربيع حدد الوتيرة الحربية مع الأمير.
- من 02 إلى 17 جويلية عملية إخلاء مدينة معسكر.
- 24 جويلية خروج مونسيور من مدينة بوردو باتجاه مارسيليا.
- 1856 مرض مونسيور ديبوش.
- 12 جوان 1838 وصول الرسالة.
- من 12جوان حتى 02 ديسمبر رفع حالة الحصار.
- 12 جانفي حرق المدينة الذي انتهى يوم 12 جانفي 1839.
- 22 فبراير 1841 كان عاصفا.
- 15 جانفي صدور قرار تدمير قوة الأمير.
- 08 ماي خروج جيش الأمير من مستغانم باتجاه تاقدمت.
- 10 ماي 1834 إصابة الأمير.
- 06 فبراير 1836 تسليم صليب الشرق.
- 1839 معاهدة تافنة.
- 1941 إطلاق سراح المساجين.
- المعركة التي دمرت مشتاة الأمير 11 نوفمبر.

- 14 أوت تخطي القوات الفرنسية وادي سلي.
- 09 ديسمبر 1845 اعتزال مونسيور ديبوش.
- 05 ديسمبر بدايات الشتاء الباردة.
- 02 ديسمبر 1851 زيارة مونسيور للأمير.
- 13 أوت تلقي مونسيور الإهانة الأولى.
- 02 فبراير 1852 وعد الأمير بتقديم ملفه إلى نابليون.
- 16 أكتوبر 1852 دخول فصل الخريف.
- 1838تعيين مونسيور ديبوش كأول قس من طرف البابا غريغوا السادس العشر .
- 04 جوان 1845 تعرض الأمير لانتكاسة صحية جراء الخبر الذي قرأه في الجريدة وهو ارتكاب يسلي جريمة في حق سبعمائة وستين ضحية في غار جبال الظاهرة.
- 22 جويلية 1846 مغادرة مونسيور الجزائر.
- 14 أكتوبر خروج العقون من فاس.
- 21 ديسمبر هجوم الأمير على العقون.
- 1844 سكان مزغران فتحوا إكتابا بالبناء مكان يصلون فيه على الأقل.
- 1793 استرجاع الميناء الذي سلمه الملكيون لانجلترا من طرف نابليون.
- 16 جانفي 1849 قراءة الأمير في جريدة لوكريدي جول المجلس الاستثنائي لمناقشة وضعيته.
- 14/ 15 مارس انتهاء مونسيور ديبوش من كتابة الرسالة التي يريد إرسالها إلى نابليون.
- رحيل الأمير من فرنسا نحو تركيا 11 ديسمبر 1852.
- مرور الأمير على نابليون للمرة الأخيرة في 09 نوفمبر.
- زيارة نابليون الرسمية للأمير في القصر 28 أكتوبر 1852.
- تحديد نابليون موعد لزيارة الأمير في 02 ديسمبر 1851 لزيارة الأمير في القصر.

الدين والايديولوجيا:

لقد كان لكل ايديولوجيا نواة عقائدية فإن تلك الإثارة عن التمثيل بين الدين والايديولوجيا نشأت تصورات تتراوح بين عز الدين مثيلها لايديولوجيا العصور القديمة أو الحديثة دينيا عصريا " فالتشبيه بين الاثنين قد يشمل جانبا مهما في أعمال فكرية كثيرة ومؤثرة، تمتد من فيوروباغ إلى ماركس وفرويد، وظهر في أفكار " كوربت " بصورة واضحة عند ما حسب الكثلكة أحد أهم إيديولوجيات إلى جانب الديمقراطية والماركسية لأنها دعوة ذات مضامين إنسانية عامة شأنها شأن الإيديولوجيتين الأخيرتين "[1]،ويذهب " باسكال Pascal " إلى أن لكل ايدولوجية دغومائية مبينا أن " الايديولوجيا بالمعنى الدقيق ظاهرة دينية وحسب الاشتقاق اللاتيني للكلمة، فإن الدين هو ما يربط الناس فيما بينهم بحيث يجعلهم يتشاركون نفس المعتقدات ونفس الطقوس المتعلقة بما هو مقدس بالنسبة لهم وبالرغم من أن الديانات الايدولوجية تختلف عن الديانات المثينية، فهذه الأخيرة هي ديانات التعالي: الكلام المقدس (الميثوس) يتجاوز فيها الكلام المعقلن (اللوغوس) والاعتقاد يتجاوز فيها حدود المعرفة...إلا أن الديانات الايدلوجية مثلها مثل الديانات المثينية، تؤكد أنها صالحة للجميع وصادقة دوما وفي كل مكان "[2] ويذهب آخرون إلى أنه هناك وجه الشبه بين الايديولوجيا والدين فكل منهما مميزات وصيغة تستقله عن الآخر فيقول أحمد محمود صبحي " إن الايديولوجيا تشترك مع المعتقد الديني فيما يلي:[3]

1- أنها تؤلف بين معتنقيها وتوجد إلتحاما عضويا بينهم وإن لم تبلغ الايديولوجيات في ذلك مبلغ الدين.

2- تنطوي الايديولوجيا مثل الأديان على مجموعة من المعايير والقيم التي تنظر إليها على أنها حق بينها القيم المعارضة لها باطلة.

3- تواجه الايديولوجيات ما تواجه الأديان في مسيرتها من انشقاق مذهبي بعد وحدة دينية، ومنشأ الخلاف في الحالتين: الاختلاف بين إخضاع الواقع للنصوص المقدسة (رأي السلفية) أو النص للواقع (رأي المؤولة) والغرابة أن يحدث الانشقاق في المعسكر الشيوعي، وأن تتهم الصين الاتحاد

[1] -S ee. Corbett patrik, op-cit, p p 15-33

[2]- محمد سيبلا وعبد السلام بن عبد العالي، الايديولوجيا، دار توبقال، المغرب، ط 1999، ص 27.

[3]- أحمد محمود صبحي وصفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2000، ص 206.

السوفياتي-سابق- بالتحريف لأنه حرف تعاليم ماركس ويدعم أحمد محمود صبحي رأيه بما ذهب إليه توبي الذي يرى أنه الإيديولوجيات الحديثة لا تغنى عن الديانات حيث أن أخطر كارثة يواجهها العالم اليوم أن الجماهير الغربية قد استعاضت عن الفراغ الديني بإيديولوجيات.

النزعة الدينية في رواية كتاب الأمير:

رواية الأمير تعكس رؤيا واسيني الأعرج للواقع الحضاري في صراع الأديان وحوار الحضارات، فهو القائل في إحدى حواراته الأدبية إذا كانت الأديان لا تصلح لسعادة الإنسان، فلماذا هي تصلح مؤسسا من خلال الرواية لقناعات جديدة في الدور الوظيفي للدين، ومن يمثل الدين كهوية يقارب به الآخر، فصراع الأنا العربي في ثقافته الإسلامية والآخر الغربي في ثقافته المسيحية.

ففي الرواية حوار بين صديقين مختلفين من ديانة مختلفة وكل منهما يريد أن يجذب الآخر لدينه لحبه واحترامه الشديد له، ولكنهم في النهاية يكتشفون أن كل منهم يخدم الله بطريقته وربما بنفس الحماس والعزيمة، فلقد عمل جون هوبي على مزج علاقة الأمير والقس فالأمير لعمل على بناء الدولة الجزائرية والقس يسعى لخدمة المستضعفين على اختلاف دياناتهم ومنها الإيديولوجية الدينية التي استند عيها الأمير التي ترفض الأذكار القبلية الدينية العاطفية، ففكرة التعايش من المنظور الإيديولوجي تعتبر رؤية يسعى إليها مونسيور لتأسيس عمل أنساني فلقد استفاد القس من البعد الديني الذي أتيح له الحوار مع الأمير عبد القادر من أجل فكرة التعايش السلمي وهي بإطلاق الأسرى الفرنسيين ولجزائريين وخير مثال على ذلك قيام ديبوش برعاية الأسرى " تقديم القس المساعدة للسجناء بالألبسة والأغطية "[1]، وقام الأمير أيضا بإرسال رسالة إلى القس بمناسبة السنة الميلادية وهذا زاد من تقربه إليه وتحقيق الفعل الإيديولوجي وهو تنصير الأمير وتعميده في الكنيسة.

فاندهش ديبوش من كلام الأمير فقد شعر كأن شيئا يعمل بداخله، منذ أن فاوضه في السجناء تأكد له أن هذا الرجل لو امتلكته الكنيسة في صفها لتحول إلى قوة كبيرة لمواجهة كل الخيبات والانتكاسات وهذا يعني أن سيطرة الايديولوجيا الدينية على المحتوى العقائدي الذي تأسس على إيديولوجية الاحتواء.

[1]- واسيني الأعرج ، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، منشورات الفضاء، الجزائر، 2004، ط (01)، ص 50.

فشخصية الأمير تعمل على إيديولوجية التعايش والإنسانية وتنطوي على عدة أسس تمثل العدالة والمساواة وتستبعد وتتجاوز العهود الفارطة المليئة بالأحقاد فأعطت مستوى الوعي بين الشخصيتين من خلال فكرة الأديان يقول ديبوش " لا اعتقد أننا وصلنا إلى هذا الحد أيها السلطان الكريم وإلا ألن نتحدث عن كائنا اسمه الإنسان، الإنسانية يا سيدي عبد القادر استحقاقا وليست إرثا سهلا، معك الحق الاستحقاق يحتاج إلى مجهودات دائمة للوصول إلى تحقيق ديننا "[1]، فالحوار الذي يسهم في حق العيش المشترك ففكرة الأديان هي في سيرورة نمطية لتغيير الصورة التي يختزنها وعي الذات فالحوار الديني متمثل في الرسائل الاخوانية التي يتم تبادلها بين القس والأمير يقول " اعذرني أن أسجل ملاحظاتي لك بوصفك خادما لله وصديقا للإنسان؛ كان من واجبك أن تطلب مني إطلاق سراح كل المساجين والمسحيين...وليس سجينا واحدا كائنا من يكون وكان لفعلك هذا أن يزداد عظمة لو مس كذلك السجناء المسلمين الذين ينطفئون في سجونكم، أحب لأخيك ما تحبه لنفسك ".[2]

فلقد أثر هذا الخطاب على القس وحرك فيه الإنسانية فيما يخص حالة الأسرى والمساجين، فكانت هناك رغبة في الأمير للاطلاع على الدين المسيحي وتمثلت بعض النقاشات مع طلاب سوشي ومنسيور ديبوش يقول الأمير " روحك أنت غالية عليك ومستعد أن أمنح دمي لإنقاذها، امنحني من وقتك لأتعرف على دينك وإذا اقتنعت به سرت نحوه ".[3]

فركن التعايش هو بنية في الايديولوجيا ومشروعية الاعتقاد تكمن في الحرية الشخصية لكل فرد فهي تقوم على أسس منها الحرية والكرامة والمساواة فكانت رغبة الأمير في التعرف على الدين المسيحي جعله "يطلب من مونسيور أن يساعده للحصول على كتب متخصصة في الدين وإلى كاهن معرب يشرح له تفاصيل المسيحية في صفائه الأول "[4]، فالعقل يستهدف مزج بعض المفاهيم من أجل مشروعية التقارب بين العرب والغرب وهذا يكون بإعطاء بعض التوجيهات حول الجهاد والمقاومة ففكرة التنوير وبهذا تؤسس الايديولوجيا خطاب إدانة المقاومة عبر صورة حجاجية لتجعل منها إحدى المساواة الغير صحيحة فيؤدي إلى انهيار تام لوجود الذات.

[1]- واسيني الأعرج ، المصدر السابق، ص 126.

[2]- واسيني الأعرج ، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، ص 50.

[3]- المصدر نفسه ، ص 44.

[4]- المصدر نفسه، ص 45.

ففكرة التعايش بين الإسلام والمسيح لم تكن فقط على مستوى ديني وإنما كانت على مستوى الإنسانية ككل فصورة القس تمثل إيديولوجية المساواة وديبوش يعتبر أن هذه الحرب ليست حرب صليبية ضد المسلمين فهو يبعد الجانب الديني على هذه الحرب يقول ديبوش " فما معنى حياتنا إذا كانت لا تصلح لإنصات لحياة الآخرين ؟ الآخرون في حاجة دائمة إلينا وعلينا أن تنهي نحوهم هذا هو الإنسان "[1]، فهو يمثل رجل الدين الذي كرس نفسه لنصرة الحق حتى ولوا اختلفت الديانات ففي النهاية كلها تدعوا إلى العدل ونصرة المظلوم، ففي نفس الوقت تنمي لو كان الأمير مسيحيا " أتعرف يا جون كلما تأملت هذا الرجل ازددت محبة له ولأخلاقه الأنانية فأحيانا مؤذية، في البداية مسيحيا نزهو به كأخ نلقنه تعاليمنا ليذهب بها عند ذويه ويشيعها ولكن مع الزمن تأكد أن هذا الرجل الذي يشبهنا في كل شيء لا يمكن أن يكون إلا هو رجل محب لكل شيء يقرب الإنسان من المحبة والله "[2]، كأن هذه المسيحية هي فقط الديانة الوحيدة التي تجمل الناس وتعطيهم راحة القلب فكل شخصية هي رائعة بمسيحيتها.

وتتمثل النزعة الدينية في الرواية من خلال قصة القس مونسيور أنطوان، أدولف ديبوش، الأسقف الأول الذي عين رئيسا للكنيسة في الجزائر ما بين 1838 و1846 فنذر نفسه لخدمة دينه وتقديم الخير للإنسانية جميعا، بإسعاف المرضى وإيواء اليتامى والمشردين وبناء الأديرة والمستشفيات والكنائس ودور الأيتام ولكن الديون الكثيرة التي تراكمت عليه وظل أصحابه يلاحقونه.

يقول الأمير لقيس " أنا كذلك أتمنى إذا لم يسقيني تربة مكة إليها أن أعود إلى نفس تلك الأرض، ولو ينفتح قلب البشر قليلا، نحو النور، أتمنى أن توضع قلوبنا جنب بعضهما، قد يبدو ما أقوله مجرد حلم، وربما احتجنا إلى زمن آخر أقل حقدا ولكن هذا ما أحس به الآن "[3] يحاول الروائي أن يحقق للأمير أمنيته وأن يكون وصيا عليها.

يرسل الأمير رسالة للقس بمناسبة رأس السنة الميلادية يقول فيها:

" بسم الله الرحمن الرحيم... سيدي ديبوش... في بداية هذه السنة نرجو من الله أن يعمم الخير وأن يرضى على كل من

[1]- واسيني الأعرج ، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد ، ص 280 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 125.

[3]- المصدر نفسه، ص 215.

نحب وكل من يحبنا ويبلي دعواتنا جميعا، نتمنى أن يلهمك
الله بعض الوقت لتعود وتزورنا نرجوك ألا تتأخر حضورك
بيننا يمنحنا كل الرضا والسعادة وداعا يا سيدي الأعظم
من عبد القادر بن محي الدين 24 صفر من سنة 1265 هـ ".[1]

وهناك أيضا مراسلات سياسية كإعلان بيعة الأمير 1832 يقول الأمير:

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا بني بعده
إلى الشيوخ والعلماء وإليكم يا رجال القبائل وخاصة فرسان السيف
والأعيان والتجار وأهل العلم، السلام عليكم فإن أهل مناطق معسكر وإغريس
الشرقي والغربي، ومن جاورهم واتحد بهم وبني شقران وعباس والبرجية واليعقوبية
وبني عامر وبني مهاجر وغيرهم ممن لم ترد أسماؤهم قد أجمعوا على مبايعتي
أمير عليهم وعاهدوني على السمع والطاعة ".[2]

محتوى الروايـــــة:

رواية كتاب الأمير " مسالك أبواب الحديد لوانيسي الأعرج من الروايات القلائل التي كتبت حول الأمير وتاريخيه وهي بذلك التي يلتقي فيها السرد الروائي بالسرد التاريخي ففي الرواية عناصر مختلفة ومتنوعة مستمدة من الوقائع التاريخية ومن حياة أشخاص تاريخيين فهي تتميز بالمادة التاريخية و" تمثل من جهة بقايا من انجازات الماضي، ولكنها من جهة ثانية تمثل شهادات عن واقع "[3]، فالتاريخ يعتبر العمود الفقري في الرواية فيوجد بعض الوثائق رسالة ديبوش إلى لويس نابليون، وحياة الأمير عبد القادر ومرتكزا ته التي كسبها في السجن سنة 1849 وفي المرجعية التاريخية التي ألف منها الكاتب روايته معتمدة على تاريخ الجزائر في مرحلة صراع مع الفرنسيين خلال سنوات 1832-1847 وتحاول إعادة بناء التاريخ الصامت لهذا الذي قام متصديا للاستعمار، والرواية تبدأ برسالة

[1]- واسيني الأعرج ، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، ص ص 53-54.
[2]- ورد نص المبايعة في رواية الأمير، ص 78.
[3]- عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، الجزء الأول، الألفاظ والمذاهب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط (01)، 1992، ص 81.

أرسلها ديبوش إلى نابليون لصالح الأمير من أجل إطلاق سراحه من السجن فلقد حاول واسيني الأعرج أن يخوض في نفسية الأمير وهو يسرد منذ توليه الإمارة إلى أن وقع الوثيقة لاستلامه لها لكنه سجن في قصر أمبواز وقضى فيها خمس سنوات منفيا منتظرا الفرج من الفرنسيين والوفاء بوعدهم إلى أن حل لويس نابليون الغرفة النيابية التي تعارض الإفراج فذهب إلى الأمير وأخبره بحريته، ويدعوه لزيارته في قصر الجمهورية فكان الأمير دائما يحلم بتلك الحرية وبعصر جديد لكن غدره بعض القادة ومنهم ملك المغرب فيقول مخاطبا والده " يا شيخي كلامك كبير ولكن الزمن تبدل وتبدلت السبل والوسائل "[1]، ويخاطب أيضا صهره مصطفى بن التهامي بمنفاه بقصر أمبواز قائلا " كنا نظن أنفسنا الوحيدين الذين ينظر الله إلى وجوههم يوم القيامة وأن الجنة حكر لنا وأن الله ملك المسلمين وكلما تعلق الأمر بالآخرين أنزلنا عليهم السخط و المظالم "[2]، فالأمير أراد أن يلم شمل القبائل ويوحدهم ويقودهم إلى حركة جهاد مقدسة لتحرير الأرض الطاهرة النبيلة ألا وهي الجزائر فلقد اختاروه أهله وليا عليهم وأميرهم وقائدهم فهو كان رافضا لهذه الإمارة لكنها فرضت عليه فلقد خاض حروبا طويلة أي الدروب التي سلكها كانت صعبة فمن هنا جاءت كلمة مسالك و هي التنقلات العديدة.

فكان الأمير بين صراعين وزمنين مختلفين زمن المدفع والرصاص وهو لا يملك هذه الآليات بل لديه السيف والحصان فكيف له أن يواجه العدو ؟ وهو لا يملك وسائل جديدة وكان عليه أن يقنع شعبه بأن هذا الزمن هو زمن المدفع وليس السيف، فبدأ جذريا بعقلانية التغيير في الذهنيات وتغيير الأفكار البدائية والعادات والنظام. وكان هدفه الوحيد العدو فأدخل فرض الضرائب على القبائل من أجل تنمية الاقتصاد فعمد إلى إلقاء الصلح والهدنة مع الفرنسيين لحقن الدماء، ففي العمل الروائي برزت المادة التاريخية المتمثلة في الوثائق والكتابات والمراسلات والمصادر المشهود لها في كتابات تاريخ الجزائر في تلك الفترة وخصوصا في تاريخ الأمير وديبوش، وسمي الكاتب كتاب الأمير لأنه يفيد السجل أو الشهادة التي تنصف الأمير ولقد قسم الكاتب روايته إلى ثلاث أبواب وهي باب المحن الأولى وباب أقواس الحكمة وباب المسالك والمهالك ويتوزع كل باب على لحظات يتم فيها توزيع السرد وعدد الوقفات اثنتا عشرة وقفة، كما اتخذ من مكان تاريخي هام وهو الإميرالية وهي بناية قديمة على قدم البحر في ميناء الجزائر العاصمة اتخذ منها منطلقا لتوزيع السرد على إميراليات أربعة،

[1]- واسيني الأعرج ، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، ، ص 84.
[2]- المصدر نفسه، ص 520.

وكان يدرج التتابع التاريخي لتطور الأحداث وتتبع مسارات منذ بدايتها إلى نهايتها وهي سرد حياة الأمير في فترة معينة من حياته فترة مقاومته المستعمر الفرنسي وسرد حياة الفرنسي أنطوان ديبوش هنا يمثل حياة مجاهد عربي مسلم وحياة شخص أسقف مسيحي قضى جزءا من حياته في الجزائر قائما على الكنيسة ووجود وضع جزائري متدرج في مقاومته والآخر في شراسته وكان لفرنسا موقف من نفي الأمير إلى فرنسا وموقفه الذي طالب بتنفيذ فرنسا لوعدها بالسماح له بالذهاب إلى مكة أو إلى تركيا أو سوريا.

ويبين سرد الأحداث وانفتاح الرسالة على الأحداث التي يريد ديبوش التدقيق فيها وإقناع الفرنسيين بما فعل الأمير وبراءته مما حصل أثناء حروبه مع فرنسا وعندما يكون ديبوش قد استوفى كل حقائق الأحداث الدالة على لسان الأمير وهي التي يريد عرضها على لسان لويس نابليون تكون الرواية قد وصلت إلى نهايتها وهناك علاقة بين الرسالة وتصور بناء الرواية، وكأن الرواية " رسالة " أو "مرافعة " للدفاع عن الأمير أمام لويس نابليون وواضح أن الرواية قد اعتمدت على هذه الوثيقة التي صدرت في كتيب بعنوان " عبد القادر في قصر أمبواز " مهدى إلى لويس بونابرت، رئيس الجمهورية الفرنسية بقلم مونسور أنطوان أدولف ديبوش ".[1]

ولهذه الوثيقة عدة طبعات بالفرنسية، مؤلف من 125 وهناك موقف يحث فيه الأسقف ديبوش الأمير على الاعتراف وذلك من خلال سرد الرواية الوقائع التي عرفها الأمير مع الفرنسيين في الجزائر من خلال الأسئلة التي يلقيها على الأمير ويطلب منه أن يجيبه عنها بصراحة، ولا شك أن هذا السلوك نابع من صميم التصور المسيحي الذي يتقنه الأسقف ديبوش وكذلك روح الصراحة التي يظن أنها قد تظهر الأمير مما افترى ما عليه من طرف الفرنسيين، وكأن الرواية حكم الأسقف في السرد في وجه الرواية لهذه الروح المسيحية التطهيرية التي يقوم بها مع الأمير لتغفر ذنوبه وكأن الأمير هنا في مقام الاعتراف بالذين وطلب صكوك الغفران...!

الشخصية التاريخية:

– **شخصية الأمير عبد القادر:** هو ذو شخصيته دينية وهو بطل من أبطال الجزائر الذين حاربوا الاستعمار بالسلاح وهو مؤسس الدولة الجزائرية يقول واسيني الأعرج " تصاعدت الأصوات

[1]– مونسور أدولف ديبوش، أسقف الجزائر السابق الطبع والسيوغرافيا ل ح في شارع لسان كاترين 13 أفريل 1849، ص 20.

مهللة، الله الأكبر، الله أكبر ، عبد القادر سلطاننا، عبد القادر سلطاننا "[1]، إضافة انه رجل عسكري وله ثقافة واسعة وذلك باطلاعه على الكتب فهو يعتبر من الشعراء الإحيائيين التقليديين " ثم فتح الأمير كتاب حمدان خوجة " المرآة " بدأ يقرأ بصوت مسموع كم نحن بعيدون ؟ اسمع ماذا يقول هذا الرجل الذي تربى في العزر التركي ".[2]

*** شخصية أنطوان أدولف ديبوش: Antoine Adolphe Dupuch**

هو شخصية لعبت دورا مهما في الرواية وهو رجل مسيحي فرنسي وكان يرى أن احتلال فرنسا للجزائر سيكون أفضل ولوكان ديننا، وكان الوسيط لتحرير الأمير من السجن وذلك بإرسال رسالة إلى زعيم فرنسا " مهدى إلى السيد لويس نابليون بونابرت رئيسا الجمهورية الفرنسية "[3]، وظهور هذه الشخصية بالصفة النبيلة وروح الإنسانية المتسامحة بين الأديان المسيحية والإسلام، وتلمس ذلك في "الآن صار مونسيور ديبوش في عمق البحر، لم يكن يحلم بعرس أفضل من هذا أنا سعيد من أجله وأنه تخطى أخيرا عتبات المنفى القاسي الذي عاشه ".[4]

شخصية الشيخ محي الدين:

هو حاكم الغرب الجزائري قبل أن يولي الحكم للأمير عبد القادر وتبين ذلك من خلال قول الروائي " فإن شئتم توليته على الغرب فلكم ذلك وإلا اقترحوا من ترونه مناسبا لهذه المهمة الكبيرة التي لم أعد قادرا على تحملها "[5]، فهو أيضا كان شخصا متدينا ذو حكمة وعقل وهذا ما جعل المتخاصمين في الغرب يستشيرونه عندما يكون نزاع، فهذه الشخصيات في الرواية مجسدة للواقع فمثلا ورد مقطع لقراءة الأمير لصك البدعة " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا نبي بعده إلا الشيوخ والعلماء واليكم رجال القبائل وخاصة فرسان سيف والأعيان والتجار وأهل العلم، السلام عليكم".[6]

---

[1]- واسيني الأعرج ، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، ص 78.

[2]- المصدر نفسه، ص 70.

[3]- المصدر نفسه، ص 18.

[4]- المصدر نفسه، ص 18.

[5]- المصدر نفسه، ص 77.

[6]- المصدر نفسه، ص 78.

أبواب الرواية:

الباب الأول: المحن الأولى

الباب الثاني: باب أقواس الحكمة

الباب الثالث: باب المسالك والممالك

إن تسمية الباب الأول للمحن الأولى هي ارتباط التصوير القصصي لتجربة المعاناة التي عاشها الأمير عبد القادر وتسمية الباب الثاني باب أقواس الحكمة وهو يعتبر مجاز الاقتران بين المحسوس والغير محسوس، أما تسمية الباب الثالث بابا المسالك والمهالك وهي أيضا تسرد معاناة الأمير بعد أن أجبر على توقيف الحرب ضد المستعمر وكتبت حول حياة الأمير وتاريخيه وأهم المراحل التي مر بها، وبدت الرواية أكثر واقعية لأنها مست تاريخ الجزائر فمن حيث الكتابة استولى واسيني الأعرج بعض الكتب التاريخية، فلقد قسم الرواية إلى أبواب ويفرع كل باب إلى مقاطع سماها وقفات وتمثل الاميريالية الأولى مقدمة الرواية وتمهيدا للباب الأول وصفحاتها 11 صفحة والثانية 07 صفات والثالثة 06 صفحات تمهيدا للباب الثاني والثالث على التوالي أما الاميريالية الرابعة 08 صفات وتمثل خاتمة الرواية التي انتمت بتحقيق أمنية القس وعودته إلى أرضه ولو ميتا وتبدأ أحداث الرواية في زمن واضح 1832 " عام الجراد الأصفر ".[1]

[1]- واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، ص 56.

الفصل الثالث

الإيديولوجيا في الرواية الجزائرية المعاصرة

1- الرواية السبعينية و الثمانينية و التسعينية.

2- العوامل التي أدت إلى تأخر الرواية الجزائرية المعاصرة

3- النزعة الثورية في الرواية

4- محتوى الرواية

الرواية السبعينية: لقد شهدت الرواية الجزائرية في فترة السبعينات تطورا وتنوعا وهذا ما تجسد في العديد من الروايات يقول واسيني الأعرج " وإذن ليس سرا أن نطلق على السبعينات (1970-1980) عقد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، فقد شهدت هذه الفترات السابقة من تاريخ الجزائر على الإطلاق من إنجازات سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية فكانت الرواية تجسيدا لذلك عليه"[1]، ولقد أقر النقاد بأن فترة السبعينات، تعد البداية الفعلية للرواية الجزائرية المعتمدة في هيكلها البنائي على أسس فنية صحيحة باعتبار أن الروائيين تمكنوا أن يكتبوا روايات ناضجة، فهي تناولت قضايا وطنية ومن هنا اكتملت الرواية من حيث أساليبها ومضامينها وحققت بنائها الفني، ومن بين الروائيين الذين ظهروا في الساحة الأدبية الجزائرية الروائي عبد الحميد بن هدوقة وروايته " ريح الجنوب " فهو يعتبر أول روائي كتب باللغة العربية وكان ذلك سنة 1971 والتي عالج فيها موضوع المرأة والأرض فهي " تعتبر رواية جزائرية جادة ومتكاملة".[2]

الرواية تمحورت حول الحدث السياسي من خلال المشروع حول الثورة الزراعية، وتزكية للخطاب السياسي الذي كان يلوح لخروج لريف من عزلته ورفع قيمة الفلاح فهي تعكس الصراع بين التقدم والتخلف فالكاتب الجزائري أصبح يعبر بكل حرية عن قضايا الثورة الجزائرية لأن الرواية كانت تعبر عن الحياة اليومية للفرد الجزائري وعن مشاكله والتصوير بدقة عن كفاحه ضد العدو، والذي أراد قهر جزائرية الجزائري ومسخه إلى إنسان غربي في تفكيره ويوجد كذلك أعمال أخرى للطاهر وطار عام 1972 فمثلا رواية " اللاز " ورواية الزلزال 1974 فهذه الأعمال كانت ذات توجه سياسي إيديولوجي، ففي رواية " اللاز " تعتبر الشخصية المحورية التي تتطور بتطور الأحداث فتتطور من شخصية عادية إلى رمز الشعب الجزائري ككل ورواية " الزلزال " جاءت لتحقق رؤية إيديولوجية في الواقع الاجتماعي والاقتصادي فالطاهر وطار صور لنا في هذه الرواية حكائية إقطاعي جاء من العاصمة ليحمي أملاكه ومن هنا ترى أن جل الروايات في فترة السبعينات ظلت في صراع، لأن الخطاب السياسي انحاز إلى الخطاب الاشتراكي فكانت رواياتهم ممزوجة بين الدين والسياسة.

[1]- عمر بن قتيبة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 197.

[2]- محمد فاسي، دراسات في الروايات الجزائرية، دار القصبة، د ط، الجزائر، 2000، ص 07.

الرواية الثمانينية: كتب واسيني الأعرج في هذه الفترة " ما تبقى من سيرة لخضر حمروش 1980 حيث صورت روايته مظاهر الإقطاعية في وقوفها ضد الثورة الزراعية"[1]، ورواية وقع الأحذية الخشنة عام 1981 ورواية تغريدة الصالح بن عامر الزوفري عام 1982، فلقد جاءت هذه الروايات لتحقيق العدالة والقضاء على البطالة فكانت "الشواهد تشير إلى أن ثمة أزمات عديدة وأضاليل تتحدى العقل والتجربة البشرية، وأن ثمة " مثلث ذهني " أو دورة ثلاثية تنظم الحياة والأحياء من حولنا وفق نسق له بداية ووسط ونهاية، طفولة فشباب فكهولة، وهي دورة ثلاثية تخضع لها الفكرة كما تخضع لها الشجرة وكما يعاني المرء من شيخوخة، تعاني الفكرة من سقفها ولكن ما يميز الفكرة ويحفظها من الزوال هو مرونتها وقدرتها على التوالد والتراكم".[2]

ومن هنا سؤال نبيل سليمان في جماليات وشواغل روائية " فهل تكون مرجعية الحداثي الروائي، إذن فيما عصف بالجزائر منذ الثورة التي جاءت بالاشتغال إلى الثورة الزراعية والتسيير الاشتراكي في سبعينيات القرن الماضي، هيئة 1980 وما أفضت إليه من بحر الدم في العقد التالي ؟ أم أن التجريب كان فقط صدى أو تفاعلا مع المشهد الروائي والنقدي العربي والعالمي من الكاتب إلى تطوير كتاباته".[3]

فكانت التجربة الروائية للكتاب الجزائريين في هذه الفترة نتيجة تحولات التي حدثت في مجتمع الاستقلال ومن التجارب الروائية لحبيب السايح وروايته زمن التمرد سنة 1985 وأيضا أعمال جيلالي خلاص وروايته رائحة الكلب 1985 وحمائم الشفق 1988 كما كتب أيضا مرزاق بقطاش رواية البزاق 1982 وعزوز الكابران 1989 الذي يقف فيها شيخ الجامع وهو شخصية من شخصيات الرواية بعد رمز التيار السلفي المتضامن مع النزعة الوطنية، ممثلا للفكرة الوطنية الموحدة في الجوانب الإيديولوجية المتباينة، في هذه الرواية يتلقى المعلم وهو من الشخصيات الأساسية لهذا الشيخ في الزنزانة وقت صلاة الظهر حيث يوقف شيخ الجامع هذا المعلم ويخبره أنه غير راض عليه وكذا التمرد على حاكم مثل " عزوز الكابران ".[4]

---

[1]- ينظر: مصطفى فاسي، دراسات في الروايات الجزائرية، ص 81.

[2]- الضوء والناز: نظرات في القصة والرواية، سمير عبد الفتاح، ص 07.

[3]- نبيل سليمان، جماليات وشوامل روائية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص 58.

[4]- بن جمعة بن شوشة، التجريب والحداثة السردية الروائية الجزائرية ، ص 09.

وقد أخرج رشيد بوجدرة عدة أعمال روائية نذكر من بينها رواية التفكيك سنة 1982 والمرث 1984 وليليات امرأة أرق 1985 ومعركة الزقاق 1986.

فكان سعي رواد الرواية الجزائرية المعاصرة إلى الانخراط ضمن الجديد في الممارسة الروائية حتى نشر عبد الحميد بن هدوقة رواية الجازية والدراويش في 1983 ومع كل هذه الأعمال الروائية التي ترى إلى التجديد والخروج عن المألوف السردي، شهد عقد الثمانينات ظهور عدد مهم من الروايات

" ذات القيمة المحدودة فكريا وجماليا بسبب عدم امتلاك أصحابها عناصر الوعي والإدراك الضرورية لفهم طبيعة وتحولات المجتمع الجزائري، وإدراك خلفيات ما يعيشه من صراعات وتناقضات زمن الاستقلال، إضافة إلى عدم توفرهم على شروط الوعي النظري للممارسة الروائية ولهذا جاءت نصوصهم الروائية باهتة على صعيد الكتابة وساذجة في التعبير عن الموقف من واقع الجزائر في السبعينات والثمانينات وما يميزه من تهافت أشكال الممارسة السياسية للسلطة الحاكمة".[1]

الرواية التسعينية: لقد شهدت الجزائر في فترة التسعينات فترة قاسية ملطخة بالدماء وأدخلتها في دوامة التفكير ونعرات طائفية كانت تؤدي بها إلى حروب أهلية نتيجة بروز تيارات دينية متشددة، ففي هذه المرحلة لم تبرز أعمال أدبية لكونها مرحلة حساسة، إلا أن بعض الروائيين استطاعوا إيصال ذلك عن طريق رواياتهم التي بقيت أسيرة الإيديولوجيات.

تقول آمنة بلعلي: " يتقاطع روائيو التسعينيات بالروائيين الكبار ضمن الأفق التاريخي الثوري على الرغم من ادعاء البعض خروجهم منه، بل رأينا هذا الأفق يتخذ مسلكا لتنشيط الفعالية السردية، حتى وإن أدمجوا أنفسهم ضمن فلسفة الاختلاف، وهو ادعاء يصعب تبريره اجتماعيا، ذلك أن مرحلة التسعينات بينت خصوبة العطاء الروائي"[2]، فنجد رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج حيث لم يكن فيها موضوع الإرهاب حديثا عابرا فقط، بل شكل عنصرا أساسيا أعطى لهذا العمل بعده التاريخي من خصوصية فنية كما يبين بشير صنفي في روايته أرخبيل الذباب، " صورة الفوضى واللامعنى للحياة التي سادها الخوف ومزق ليلها الهادئ "[3]، فالرواية أخذت منعرجا آخر عالجت فيه موضوع الأزمة وآثارها فاتخذت رواية الأزمة من المأساة الجزائرية مدارا لها. منها تتولد أسئلة متنها

[1]- ينظر: بن جمعة بن شوشة، التجريب والحداثة السردية الروائية الجزائرية، المرجع السابق، ص11.

[2]- المتخيل في الرواية الجزائرية من التماثل إلى المختلف، آمنة بلعلي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ص 207.

[3]- جعفر يايوش، الأدب الجزائري الحديث، التجربة والمال مطبعة AGP وهران، ص 230.

الحكائي في أحضانها تتشكل مختلف عناصر سردها، إضافة إلى رواية سادة المصير لسفيان زدادقة التي عالجت موضوع التطرف والعنف السياسي وتطبيق الشريعة الإسلامية في الاتجاه السلبي بغية الوصول إلى السلطة ونجد رواية الورم لمحمد ساري" تدخل في سياق ما أنتجته العشرية السوداء ".[1]

وكذلك رواية امرأة آزق، تيميمون، التفكك، معركة الزقاقن لرشيد بوجدرة وكتاب الأمير لواسيني الأعرج وشرفات من بحر الشمال " ففي العشرية السوداء قد شهدت الجزائر أعنف سنواتها بعد الاستقلال وهذا لانتشار ظاهرة الإرهاب.[2]

ومآسي الحرب الأهلية التي ذاقت فيها الجزائر ويلات العنف المسلح والإرهاب، كما صورت أحلام مستغانمي في روايتها فوضى الحواس أوضاع الخراب والعنف التي مر بها واقع الجزائر خاصة حادثة مقتل محمد بوضياف ويتضح ذلك في قولها "... ثم راح يفرغ سلاحه في محمد بوضياف، هكذا مباشرة أمام أعين المشاهدين ويغادر المنصة، كنا في التاسع والعشرين من حزيران، كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة وسبعة وعشرين دقيقة".[3]

" فإن واقع التسعينات حدد الكاتب من كل إمكانية براز الصراع أو التنبؤ بمستقبل"[4]، ومن الباحثين من يرى أن مطلع التسعينات في الألفية الثالثة تحول الخطاب الروائي الجزائري للتعبير عن هموم الفئات والطبقة الاجتماعية الصاعدة وتطلعاتها.

أن الرواية الجزائرية التسعينية المعاصرة لم تترك شيئا إلا وأحصته.

" فقد تناولت وأشارت في نصوصها إلى عنف السلطة الحاكمة مثلما نجد في رواية دم الغزال لمرزاق بقطاش، وكراف الخطايا لعيسى لحليح، وامرأة بلا ملامح لكمال بركاني وذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي والشمعة والدهاليز للطاهر وطار"[5]، وغيرها من الروايات الأخرى التي تطرقت إلى وصف السلطة وأعمالها المشينة فرواية كرف الخطايا تناوله فساد السلطة دون ذكر أسمائهم أو ما يدل عليهم لأن الروائي لا يذكر أسماء الشخصيات الفاسدة في روايته بل يستعين بضمير وذلك خوفا من

---

[1]- أحمد منور، ملامح أدبية، دراسات في الرواية الجزائرية، ص 161.

[2]- العشرية السوداء، محمد بوسهول، قرأت لك 06 يوليو 2010.

Quraeto,wordpress.com

[3]- أحلام مستغانمي: فوضى الحواس، دار الأدب، ط (16) ، بيروت، ص 230.

[4]- المتخيل في الرواية الجزائرية، ص 78.

[5]- ينظر: الشريف جيلة، الرواية والعنف، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط (01)، 2010، ص 165.

إلحاق الضرر بنفسه " غير أن الرواية الجزائرية المعاصرة، لا تعتمد إلى تأصيل الأمور أثناء حديثها عن فساد السلطة، فهي تعطي لمحة وصورة عن هذا الفساد وتكتفي بترك المجال للقارئ ليبحث عن هذا الموضوع باعتبار أن موضوع الفساد معروف في المجتمع".[1]

إن نهاية الرواية لا ترد الإرهاب إلى جهة معينة ولا تردها خاصة إلى الحركة الأصولية كما هو معروف، بل أن إطفاء شمعة المثقف الوطني يعود إلى عدة أطراف، وكل هذه الأطراف اتفقت على شيء واحد هو العنف، وفي رواية تيميمون يحاول بوجدرة أن يرصد لنا من عمق الصحراء الشاسعة مسلسل العنف والاغتيالات إبان الأزمة، وإن كان وسط الصحراء بعيدا نوعا ما من صخب الإرهاب فهذه الظاهرة ميزت الكآبة في عقد التسعينات.

العوامل التي أدت إلى تأخر الرواية الجزائرية.

العامل الفني: تأخرت الرواية المكتوبة باللغة العربية إلى فترة السبعينات، و ذلك لاحتياج الفن إلى تأمل طويل وإلى صبر ثم يتطلب ظروفا ملائمة تساعد على تطوره فالعامل الفني والثقافي هما من أكثر العوامل التي أعاقت الجنس الروائي، ضمن نشاطات الحركة الأدبية بالجزائر فالظروف السياسية والاجتماعية أشد التصاقا بالظروف الثقافية وتأثيرا على وجهتها: ذلك أن الوضع الثقافي والاجتماعي والسياسي في العهد الاستعماري لم يكن مواتيا لازدهار الثقافة والأدب "[2]، وفي مقدمة هذه العوامل، غير أن الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة العربية " اتجهوا إلى القصة القصيرة لأنها تعبر عن واقع الحياة اليومي خاصة أثناء الثورة التي أحدثت تغييرا عميقا في الفرد.

أما الرواية فإنها تعالج قطاعا من المجتمع يشكل من شخصيات تختلف اتجاهاتها ومشاريعها وتتفرع تجاربها وتتصارع أهواؤها ومواقفها "[3]، فالكتاب لم يجدوا نماذج يقلدونها أو يكتبون على منوالها، غير أن كتاب الرواية العربية الجزائرية قد أتيح لهم أن يقرؤوا في لغتهم عيونا واسعة في الرواية العربية

[1]- الشريف جيلة، المرجع السابق، ص 167.

[2]- مخلوف عامر، توظيف التراث في الرواية الجزائرية، منشورات دار الأديب، ط(01)، ص 18.

[3]- محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 08.

" لكنهم لم يتصلوا بهذا النتاج إلا في فترة قريبة بسبب الظروف التي عاشوها، وعاشتها الثقافة القومية في الجزائر".[1]

العامل الاجتماعي: يوجد في المجتمع الجزائري الكثير من الآفات الاجتماعية كالفقر والجهل والمرض، فكان الواقع المعاش هو سبب في تدني الأفكار هذا من جهة ومن جهة أخرى الاستعمار الفرنسي الذي قام بطمس شخصية الجزائري ومحاربة هويته الوطنية، ونجد كذلك الأمية التي خلفها، وهذا ما يذكر سيسيل أليري والذي كان يعمل مراسلا للمجتمع العلمي الفرنسي وأستاذ بجامعة الجزائر في مقال له: إذ يقول " في قطر الجزائر بعد مائة عام من انتصارنا فيه 82 بالمائة من الأميين الذين يجهلون الكتابة والقراءة"[2]، وكذلك طبيعة المجتمع الجزائري المحافظة والخاضعة لسلطان العادات والتقاليد، خاصة فيما يتعلق بالمرأة إذ هي منغلقة لا يسمح بها بالدراسة ولا المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية فهذا عامل آخر أثر كذلك على كل أشكال التعبير الأدبي.

العامل السياسي: إن ظروف الصراع الذي كان يعيشه الشعب الجزائري وكان هذا الصراع حضاري وفكري لأنه كان له انفعال في النظرة وسرعة في الرد، وعدم التأني في المواقف والمشاعر وكانت هذه الشروط هي التي أثرت في الأديب بحيث كان يميل إلى القصيدة الشعرية التي كانت تعبر عن اللمحة العابرة أكثر مما تعبر عن موقف مدروس في أبعاد إيديولوجية.

فإن سرعة الأحداث والحاجة الماسة إلى جميع طاقات البشرية لم تسمح للأدباء الجزائريين باستيعاب هذا التطور استيعابا من شأنه دفع بعض الأدباء إلى اتخاذ الفن الروائي وسيلة للتعبير عن مواقفهم، وربما كانت ظروف الثورة أدعى إلى إنشاء الملاحم الشعرية " وهكذا استمر الأديب الجزائري يسهم في سيرة الثورة ويقوم بدوره في الصراع السياسي والحضاري عن طريق الشعر والمقالة الفكرية والقصة القصيرة وبالتالي اتخذت في هذه الفترة بالذات طابعا رومانسيا واضحا " وهكذا استمر الأديب الجزائري يسهم في الصورة وكان تطور الحركة الأدبية في المشرق والمغرب ما عدا الجزائر لأنها كانت محاطة بالمصاعب والتمزقات ففرنسا عملت ما أوتيت عليه على أن تقلع الجذور العربية من الجزائر.

---

[1]- عمر بن قتيبة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، ط (01)، بن عكنون، الجزائر، ص ص 195- 196.

[2]- عبد الله ربيحي، تطور النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1983، ص ص 164 -165 .

نزعة الإيديولوجية الثورية في رواية ذاكرة الجسد (لأحلام مستغانمي):

لقد حظيت رواية ذاكرة الجسد بأهمية بالغة من طرف النقاد والدارسين وذلك لعدة أسباب، لعل من أهمها كونها أول رواية في الوطن العربي كاتبتها امرأة تتحدث على لسان الرجل فهي: " واحدة من الروايات النسائية القليلة يحكيها رجل بينما كاتبتها امرأة ..."[1]، وهي أول:" تأشيرة للسفر في ذاكرة رجل جزائري بالإقامة في عالمه الحميمي، ومقاسمته عمرا من النضال والخيبات الوطنية والتناقضات الذاتية..."[2]، ومن بين هذه الأسباب كذلك كونها تعد منافسة للرجل في حوض الكتابة الأدبية والروائية على الخصوص، وقد تراءى لبعض من الدارسين على تسمية هذه الرواية بـــالرواية الملحمة كونها عبارة عن سيرة ذاتية للكاتبة كما تعتبر وثيقة تاريخية واجتماعية وسياسية وثقافية للواقع الجزائري في معرض حديثه عن رواية ذاكرة الجسد يقول الشاعر نزار قباني: "روايتها دوختني وأنا نادرا ما أدوخ أمام رواية من الروايات وسبب الدوخة أن النص الذي قرأته يشبهني إلى درجة التطابق فهو مجنون ومتوتر ومتوحش وإنساني وشهواني وخارج عن القانون مثلي...و... فالرواية قصيدة مكتوبة على كل البحور، بحر الحب، وبحر الجنس، وبحر الثورة الجزائرية لمناضليها وأبطالها وقاتليها وملائكتها وشياطينها وأنباءها وسارقيها هذه الرواية لا تختصر التاريخ فقط وإنما تاريخ الوجع الجزائري والجنون الجزائري والجاهلية الجزائرية التي آل لها أن تنتهي...". [3]

ملخص رواية (ذاكرة الجسد):

تروي أحداث رواية ذاكرة الجسد قصة البطل خالد، الذي عاش تفاصيل وأحداث الثورة حيث كان في طليعة الشباب المناضل في صفوف التحرير الوطني، ومن ومجاهدي الصفوف الأولى: " ذلك المناضل هو المجاهد المعطوب الذي كان أنا..."[4]، لقد فقد ذراعه في إحدى المعارك التي دارت على مشارف باتنة ضد القوات الفرنسية: " بعدما اخترقت ذراعي اليسرى رصاصتان ... و... لم يكن العلاج بالنسبة لي سوى بتر ذراعي اليسرى"[5]، فأخذ يستعيض عن اليد التي فقدها بالرسم باليد

[1]- فريدة النقاش، قراءة نقدية في رواية ذاكرة الجسد، مجلة العربي، العدد 457، كويت، 1996، ص 111.

[2]- أنظر: ظهر غلاف الرواية، أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، موفم للنشر، د ط، الجزائر، 1993.

[3]- أنظر: المرجع نفسه، 1993

[4]- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، موفم للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 1993، ص 154.

[5]- الرواية، ص40.

اليمنى، ليصبح بعد ذلك واحدا من أفضل الرسامين الجزائريين بشهادة النقاد الفرنسيين، لقد ظل البتر علامة على جسده، تسجل الألم والذاكرة معا، وانتماء إلى زمن الثورة.

بعد استقلال الجزائر عرضت على خالد عدة مناصب سياسية في الدولة لكنه تخلى عنها تفاديا لما قد يكون ؟ في الوقت الذي كان بعضهم يتسابق في الوصول إليها: " لقد كنت بعد الاستقلال أهرب من المناصب السياسية التي عرضت علي والتي كان الجميع يلهثون للوصول إليها ..."[1]، لينتهي في الأخير مشرفا على دار النشر ويجد نفسه في وظيفة بيروقراطية تخدم النظام بشكل أو بآخر، ففي هذه الظروف تعرف البطل خالد على زياد خليل الشاعر الفلسطيني الذي غير مجرى حياته، كما كان الدافع الأول لهجرته إلى باريس:" ألا تدرين أنه كان سببا غير باشر في مغادرته الجزائر"[2]، هذا البطل الشاعر الذي أيقظ ضميره وروح الثورة فيه، بعدما جرفه تيار التبعية للنظام " بعدما تحولت من مثقف إلى شرطي حقير يتجسس على الحروف والنقاط...".[3]

هاجر خالد إلى باريس سنة 1973م، ليجد نفسه واحدا من أفضل من يداعبون فن الفرشاة وفي إحدى القاعات الباريسية للعرض، التقى بأحلام ابنة سي الطاهر أحد المجاهدين في صفوف الثورة، هذه الفتاة التي غيرت مجرى حياته مرة أخرى وكأن خالد يبحث عن نفسه عند الآخر وكان ذلك في سنة 1981، لقد أيقظت فيه ذاكرة بكل أبعادها: " أنت لست امرأة فقط أنت الوطن، فهل يهمك ما سيكتبه التاريخ يوما ما ..."[4]، كيف لا وهي الطفلة التي سجلها في دار البلدية بتونس، لتظهر بعد ذلك في حياته مجددا وهي ناضجة العمر والجسد، هذه المرأة الوطن الرمز أيقظت فيه الجرح الجزائري بحيث جعلته أكثر ارتباطا بالوطن الأم الجزائر، ليحي المأساة من جديد، التي تمثلت في بتر ذراعه، والماضي وتفاصيله.

الرواية حديث عن الواقع الجزائري إبان الثورة وما بعدها، عند خالد المجاهد الرسام وعن أحلام الوطن والحب معا، هذه التي تجمع حولها القراصنة فاغتصبوها لتكون زوجة لواحد من ذوي الأكتاف العريضة، هذا الاغتصاب له دلالة واحدة تتمثل في اغتصاب هذا الوطن:"...وأولئك

[1]- الرواية، ص 166.

[2]- الرواية، ص167

[3]- الرواية، ص 168.

[4]- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، موفم للنشر والتوزيع، ص 324.

أصحاب النجوم التي لا تعد وكل الذين منحتهم الكثير...و... اغتصبوها في حضرتي اليوم أتحداهم بنقصي اليوم فقط".[1]

تروي هذه الرواية قصة وطن وحب ووجدان، تخطت من خلالها الروائية الثلاثي المحرم (الجنس، السياسة، الدين) وعالجت هذه المواضيع بكل جرأة، جسدت كل ذلك في شخصية خالد الرسام والسياسي وحتى الأب الذي عرفته حياة منذ صغرها ارتبطت به كثيرا.

الشخصيات الرئيسية والثانوية في الرواية:

الرواية	الشخصيات المحورية والرئيسية	الشخصيات الثانوية والمساعدة
رواية ذاكرة الجسد	• خالد بن طوبال • أحلام • عبد المولى سي الطاهر • سي الشريف • زياد الخليل • كاترين	• ناصر • مصطفى • كابوتسكي (الطبيب) • حسان • عتيقة • والدة أحلام • ناصر • ولد خالد • زوجته • ناديا • والدة خالد • كاتب ياسين • بلال حسن • إسماعيل • شعلال جد خالد • جار خالد • جدة أحلام (الزهرة)

[1]- الرواية، ص 482.

أحداث رواية ذاكرة الجسد:

إن أحداث رواية ذاكرة الجسد متسلسلة ومترابطة إذ أدى كل حدث منها إلى الآخر وأحال عليه، فالرواية أجادت نسج أحداث هذه الرواية وربط إحداها بالأخرى في تناسق تام والقارئ لهذه الرواية يحس أن هناك خيطا رفيعا يربط هذه الأحداث ويجعلها مترابطة كل واحد منها يحيل على الآخر في حتمية شبه مطلقة وهذا المنحنى يبين لنا مجرى الأحداث في ذاكرة الجسد.

العقدة: لقاء خالد ووفاة حسان وزواج الحبيبة.

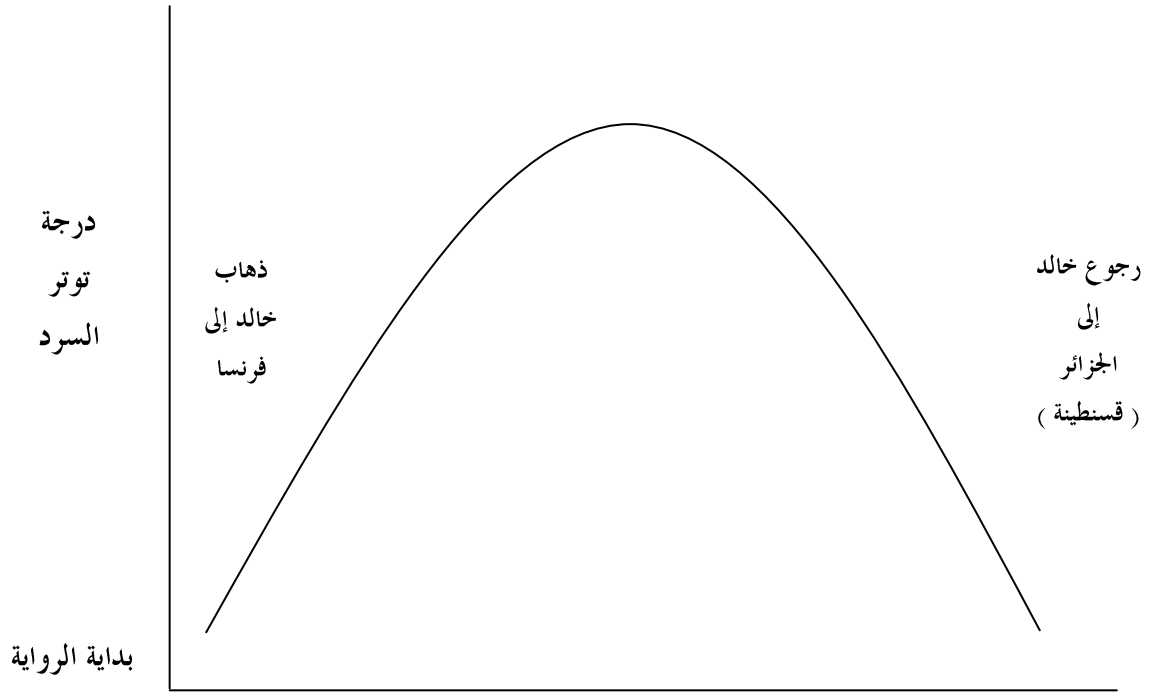

وبدأت الرواية بداية هادئة (ذهاب خالد إلى فرنسا)، ثم بدأت في الارتفاع تدريجيا إلى غاية العقدة (لقاء خالد بحياة ووفاة حسان)، ثم تبدأ في الانفجار برجوع خالد إلى أرض الوطن، فالمنحنى يبدأ في الارتفاع تدريجيا إلى غاية العقدة إلى غاية الانفراج في النهاية لتنتهي الرواية نهاية مغلقة.

الإيديولوجيا الثورية من خلال رواية ذاكرة الجسد:

1- زمن الرواية: إن زمن الرواية يتحدث بداية بمظاهرات 08 ماي 1945 التي قدمت فيها قسنطينة وضواحيها أول عربون للثورة وتنتهي أحداث القصة مع 01 نوفمبر 1988، إذا فزمن القصة يقع من 1945 إلى غاية 1988، أما فيما يخص زمن الخطاب فيبتدئ عكس ذلك أن من حاضر المتكلم ومع نهاية زمن القصة 1988 ليعود بعد ذلك إلى بداية سنة 1945 و ليستمر إلى غاية أحداث أكتوبر 1988 اليوم الذي قرر فيه خالد العودة من الغربة والاستقرار في وطنه بعد تلقيه خبر مقتل أخيه الوحيد حسان وعلى كل فإن زمن قصة حياة خالد وهي القصة الأساسية التي تبنى عليها الخطاب الروائي يمكن تقسيمها حسب هذا الزمن إلى مراحل:

مرحلة الثورة (النضال الوطني):

تصور لنا هذه الرواية أحداث واقعية تمثلت أساسا في ثورة التحرير كما صورت لنا نضال الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، وقد كانت المهمة السردية في سرد الأحداث الثورية ملقاة على عاتق البطل خالد، بوصفه من أبرز مجاهدي صفوف جيش التحرير الوطني، ومن بين الصانعين لها في وقت مضى، وتمتد هذه المرحلة من مظاهرات 08 ماي إلى غاية الاستقلال، وفي هذه المرحلة تشكلت الخطوط الرئيسية لشخصية خالد السياسية، وذلك من خلال تعرفه على أفكار حزب الشعب، إسماعيل شعلال، بلال حسين، أقرب أصدقائه سي الطاهر وكاتب ياسين " الذي التقى به في سجن الكدية قبل أن يلتحق بالجبهة في 1955 كما شارك في عدة معارك".[1]

قبل إصابة ذراعه اليسرى برصاصة قادته إلى تونس، حيث توجد القواعد الخلفية للمجاهدين وتنتهي العملية بقطع ذراعه وتوجيه اهتمامه إلى الرسم بعد أن أدى الرسالة التي كلفه بها "سي الطاهر".

لقد صورت هذه الرواية نضال الشعب الجزائري بداية من الانتفاضة الشعبية المتمثلة في مظاهرات 08 ماي 1945، التي راح ضحيتها خمسة وأربعون ألف شهيد: " إثر مظاهرات 08 ماي 1945، التي قدمت فيها قسنطينة وسطيف وضواحيها أول عربون للثورة متمثلا في الدفعة

[1]- أحلام ستغانمي، ذاكرة الجسد، ص 283.

الأولى من عدة آلاف من الشهداء في مظاهرات واحدة"[1]، كما أشارت الكاتبة إلى فترة النضال السياسي بعد هذه الانتفاضة والتي من نتائجها التخطيط للثورة ويرون حركات سياسية بكل تنظيماتها كما ثبت النضال السياسي كطريقة ثانية لمواجهة هذا الاستعمار، وذلك بتدويل القضية الجزائرية ومن بين هذه التنظيمات السياسية آنذاك " حزب الشعب الجزائري " ممثلا " مصالي الحاج "، بعد ذلك تحدثت الكاتبة عن فترة اندلاع الثورة وأهم صانعيها الذين خططوا لما من أجل انجاحها سياسيا وعسكريا، فقد ركزت على أهم قيادها " سي الطاهر ": "لقد خلق لكي يكون قائدا، كان فيه شيء من سلالة طارق بن زياد والأمير عبد القادر، أولئك الذين يمكنهم أن يغيروا التاريخ بخطبة واحدة"[2]، والذين كان لهم وزن كبير في تنظيم وإنجاح الثورة منهم ديدوش مراد، وعمروش، وبن مهيدي وغيرهم، لقد وهبوا أنفسهم لهذا الوطن واضعين نصب أعينهم أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

مرحلة الاستقلال:

وتمتد إلى غاية 1973، وهي السنة التي قرر فيها الخروج من الوطن والهجرة إلى فرنسا بعد أن أصبح الوطن في نظره " سجينا لا عنوان معروفا لزنزانته، لا اسما رسميا لسجنه ولا تهمته واضحة".[3]

تستمر الكاتبة في تصوير الأحداث بعد الاستقلال إذ تعتبر هذه الفترة من المراحل الحرجة للدولة المستقلة حديثا، وهي مرحلة تصفية الحسابات، والتي تأخذ شكل الدليل القاطع على الواقع الجديد، خاصة في تلك البلدان العربية التي طغى عليها الحكم العسكري الديكتاتوري" لا أذكر من قال يقضي الإنسان سنواته الأولى في تعلم النطق وتقضي الأنظمة العربية بقية عمره في تعليمه الصمت"[4]، هذا لحكم الذي كانت نتيجة لانقلاب ما أو انتصار ثوري مسلح، هذه هي حال الوطن التي تجسدت بعد الاستقلال بحكم جاء نتيجة الانقلاب العسكري، سمي آنذاك "التصحيح الثوري"، هذا النظام الجديد كان يحمل صيغة الديكتاتورية العسكرية التي تقضي بتصفية الأشخاص الحاملين لوعي رافض أو مناهض لنظام الحكم السائد في تلك الفترة والذين لم يبتلعوا ألسنتهم بعد: "آخرها حزيران 1971 الذي قضيت بعضه في سجن للتحقيق والتأديب يستضاف فيه بعض الذين لم يبتلعوا ألسنتهم بعد"[5]،

[1]- أحلام ستغانمي، ذاكرة الجسد، ص 86.

[2]- الرواية، ص 37.

[3]- الرواية، ص 283.

[4]- الرواية، ص 34.

[5]- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص 283

وهذا ما تجلى نصيا من خلال ذلك التساؤل المرير الذي طرحه البطل خالد " هل توقعت يوما كنت شابا بحماسته وعنفوانه وتطرف أحلامه، أنه سيأتي بعد ربع قرن يوم عجيب كهذا، يجردني فيه جزائري مثلي من ثيابي من ساعتي وأشيائي ليزج في زنزانة فردية، زنزانة ادخلها باسم الثورة هذه المرة"[1]، ونتيجة لتلك المعاملات آنذاك شد خالد الرحال إلى فرنسا.

مرحلة الهجرة والاغتراب:

وتنتهي بأحداث أكتوبر 1988 وفيها اتسعت معارف خالد وازدادت خبرته بالواقع، حيث التقى بصديقه اليهودي "روجيه النقاش " و" كاترين "، وكان اللقاء الأخير مع " أحلام " في نيسان 1881 والتي أيقظت فيه الرجل الآخر وحركت ذاكرته ليرتبط مرة أخرى بالوطن.

بما أن الماضي هو الزمن الوحيد القابل للتذكر والتأمل فقد أخذت الذاكرة دورها في الرواية وكان لها الحضور المتميز من حيث الاستعانة بمفردات وتواريخ زمنية عديدة لتنظيم نفسها، أما بخصوص الزمن الحاضر فإنه يمثل لحظة الإبداع ويمد الكاتبة بواقع الحياة وما فيها من تفاعلات وبهذا فقد اتخذت " أحلام مستغانمي " من الزمنين الحاضر والماضي الأساس في بناء روايتها ومن مكنها من الانتقال بين هذين الزمنين من خلال التقاطع الذي يفرضه استدعاء الذاكرة من تغير وجهات رؤيتها للأحداث لأن " الرواية هي فن زمني ".[2]

مرحلة العودة النهائية للوطن:

منح بن طوبال الفتاة الباريسية كاترين زبدة أعماله الفنية وعاد إلى وطنه مهزوما مقهورا.

" كل هذه اللحظات واللوحات تلك، صاحت أأنت مجنون ؟ كيف تهبني كل هذه اللوحات إنها مدينتك قد تحن إليها، قلت: لم يعد هناك ضرورة للحنين بعد اليوم أنا عائد إليها أهديها لك لأنني أدري أنك تقدرين الفن، وإنها معك لن تضيع...".[3]

[1]- الرواية، ص 284.

[2]- هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، ص 300.

[3]- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص 374.

" كان من طينة العربي بن مهيدي ومن عجينة ديدوش مراد...و... والذين كانوا يذهبون إلى الموت ولا ينتظرون أن يأتيهم ". [1]

لقد قامت الكاتبة بعملية تقسيم وتقييم فترات هذه الثورة التي كانت مسرحا لمعارك كبرى، وهي معارك وقعت بالفعل ولها مرجعيتها التاريخية:" وجاءت تلك المعركة الضارية التي دارت على مشارف باتنة لتقلب يوما كل شيء ...و... فقد فقدنا فيها 06 مجاهدين وكنت فيها أنا من عداد الجرحى"[2]، لقد مثلت أحلام هذه الفترة بخطاب إعادة سرد التاريخ على لسان البطل " خالد " باعتباره المشارك الفعلي في صنع هذه الأحداث التاريخية.

إن مصداقية هذه الأحداث لها نزعة تاريخية ثورية مادية، فهي ليست من صنع خيال الكاتبة بقدر ما هي واقعية، وهذا ما أعطى موضوعية لكتابة هذه الرواية لأن العنصر التاريخي كان حاضرا حضورا زمانيا ومكانيا مكثفا في هذا النص الروائي أم حضور النزعة الإيديولوجية لتلك الأحداث التاريخية وربطها بحاضر البطل فيمثل مقارنة إيديولوجية الماضي وواقع الحاضر فكان بذلك يعيش إيديولوجية الماضي بكل أبعادها، رافضا إيديولوجية الحاضر الذي قسا عليه وعلى وطنه.

إلا أن عودته إلى الوطن كانت آنية ومكانية وجسدية ولم تكن روحية أو بدافع حنين واشتياق إذ لم تكن عودته المكانية إلا قهرا أو غضبا ليشيع في هذه العودة كل ما ارتبط بالوطن الذي صادرته أحداث 1988 وصادرت معه أخيه حسان الذي ذهب ضحية حلم جميل قاده إلى العاصمة ليلقى حتفه برصاصة طائشة، لقد عاد خالد ليشيع كل من يحب في هذا البلد، لكنه في هذا الموقع قد زاد مقته لقسنطينة التي تظهر أبعد ما يكون من قبله بعد ما كانت في الموقع الأول تحل محل الأم في كثير من الأحيان يقول فيها عند وصوله:" ها هي قسنطينة مرة أخرى تلك الأم الطاغية التي تتربص بأولادها و التي أقسمت أن تعيدنا إليها ها هي قد هزمتنا وأعادتنا إليها معا وفي تلك اللحظة التي اعتقدنا فيها أننا شفينا منها وقطعنا معها صلة الرحم".[3]

لعل من الأسباب المباشرة لكتابة هذا النص الروائي، هو الواقع المزري الذي أصبحت تعيشه الجزائر في مطلع ثمانينات هذا القرن وانتقال مقاليد الحكم إلى سلطة أخرى لا تفرق عنها الكثير

[1]- الرواية، ص 380.
[2]- الرواية، ص 40.
[3]- الرواية، ص 400.

وظهور الاضطرابات نتيجة تصادم لتوجهات السياسية وتناحر الرؤى الإيديولوجية المتصارعة على السلطة، كل هذه الظروف والملابسات وجهت الكاتبة لكتابة روايتها والتنبؤ من خلالها بمستقبل الجزائر، بدءا من أحداث أكتوبر 1988.

خـــاتمة

خاتمـــــة:

في الختام توصلنا إلى مجموعة من النتائج وهي أن:

-مصطلح الايديولوجيا عرف تطورا كبيرا وانتشارا واسعا في مختلف المجالات الفكرية والفلسفية والسياسية والأدبية مما يصعب اعتماد تعريف محدد به.

-أي عمل روائي لا يخلو من الايديولوجيا، فالأيديولوجيات في الرواية تكون عادة متصلة بصراع الأبطال، بينما تبقى الرواية كإيديولوجيا تعبيرا عن تصورات الكاتب بواسطة الايدلوجيات المتصارعة نفسها.

-تنشأ الإيديولوجيات داخل الرواية عبر الصراع الطبقات، ويتجلى ظهورها وقت الأزمات، فميل الإنسان لاعتقاد ايديولوجية معينة يستلزم تغير ظروفه القائمة التي لم تشبع حاجة وتبدوا الايديولوجية التغييرية في رواية الأمير خير دليل على ذلك.

-لقد برزت الأيديولوجيا كنظام من الأفكار، فهي تعمل على توجيه المنتمين لها عبر تكييف الوقائع وتحسين الفرص لهم، فالوسط الاجتماعي هو المستهدف بسيطرتها وهي تنظم وتوظف نظائرها وهي الدين والتاريخ من أجل التأثير على الأفكار واستطلاع طموح جماعة تستأثر بالسلطة وظهور جماعات أخرى وهذا يولد صراع ايديولوجي يتمثل في اختلاف الأفكار، فهي بمثابة المحرك لحركة التاريخ.

-إن علاقة الدين والإيديولوجيا هي علاقة الجماع، فالدين هو نظير الايديولوجيا وكلاهما يهدفان إلى بناء مجتمع وتنظيمه.

-التعرف على بعض النزاعات الايديولوجية من خلال دراسة لبعض الروايات الجزائرية.

-لقد تماشت مستويات الرواية الجزائرية المعاصرة خلال الفترة الزمنية الواحدة، ويتمثل الصراع الإيديولوجي الذي ينتصر فيه بقوة السلاح لا بقوة الأفكار، ولو عدنا إلى المتن لوجدنا ذلك يتمثل في رواية كتاب الأمير عبد القادر مسالك أبواب الحديد، فهذه الرواية مزجت بين نزعتين ايديولوجيتين هما الديني والتاريخي.

-فواسيني الأعرج حاول طرح الايديولوجيا وأهم الخصائص لها.

-كانت رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي من أبرز الروايات التي وضفت الثورة التحريرية توظيفا فنيا جماليا وإيديولوجيا، إذ تنطرق أحداث هذه الرواية وفق البعد الزمني أساسا من أحداث

الثورة التحريرية الجزائرية التي شكلت نقطة محورية لرسم حدود الرواية، واختيار المبدعة للمنهج الأيديولوجي وتشكيل الأرضية السردية لها من خلال عرضها لفعالية كل شخصية داخل عملها ودفاعها عن مبادئ الثورة التحريرية، كمقدس ثابت وهذا ما قدمته شخصيات احلام مستغانمي في الرواية من خلال العلائق الايديولوجية لكل شخصية ثورية، وما تقدمه من تصور لمفهوم الثورة.

-اهتمام الأيديولوجيا بالجماهير فمعظم الفلاسفة لا يسعون إلى اكتساب جماهير بينما خشيتهم سوء الفهم.

-علاقة الفلسفة بالأيديولوجيا هي علاقة تشابك وتداخل فكلاهما يركزان على المعرفة.

وفي الأخير يمكن القول أن هذه النتائج التي توصلنا إليها عبارة عن بذرة يمكن أن تكون خطوة أولى للبحوث والدراسات الأخرى ويبقى جهدنا هذا مقلا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

المصادر:

1. أحلام مستغانمي: فوضى الحواس، دار الأدب، ط (16) ، بيروت.
2. أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، موفم للنشر، د ط، الجزائر، 1993.
3. عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط4، الجزائر، 1971.
4. محمد ديب، الحريق،
5. واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، منشورات الفضاء الحر، ط (01)، نوفمبر 2004.

الكتب:

1. ابراهيم زكريا، مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، الفجالة، مصر ، دت، د.ط.
2. أحمد محمود صبحي وصفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.
3. أحمد محمود صبحي وصفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2000.
4. ألسبيرغ ياكوف، المنحنى السوسيولوجي في النقد الأدبي، ترجمة: نوفل ليوف، مجلة الأدب الأجنبية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، عدد 01، 1978.
5. بلحسن عمار، الأدب والايديولوجيا، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،ط (1)، 1984.
6. جعفر يايوش، الأدب الجزائري الحديث، التجربة والمال مطبعة AGP وهران.
7. جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، وزارة الثقافة بغداد ،ط (01)، 1978.
8. جون سكوت، المفهوم القاعدة: ايديلوجيا Idéologie كما قدمه وعرضه "دوتراسي" ، علم الاجتماع – المفاهيم الأساسية، تر: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط (01)،2009.
9. حميد لحميداني، النقد الروائي والايديولوجيا من سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ط (01)، 1990.
10. رينيه ويلك، أوتسن ورين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، دمشق، دت، دط.

11. سعيد إيدوارد، العالم والنص والناقد، تر: عبد الكريم محفوظ، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2000.
12. شايف عكاش، مدخل عالم الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائرية.
13. الشريف جيلة، الرواية والعنف، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط (01)، 2010.
14. عبد الله الركبي، النثر الجزائري الحديث، نشر معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، د ط، 1976.
15. عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط ت.
16. عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، الجزء الأول، الألفاظ والمذاهب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط (01)، 1992.
17. عبد الله ربيحي، تطور النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1983.
18. عبد المالك مرتاض: فنون النشر 1932-1975، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط ت.
19. عبد المجيد الشافعي: الطالب المنكوب، (قصة غرامية منكوبة)، مطبعة الشريف، دار المكتبة العربية، تونس، دط، 1937-1951.
20. العرب، دمشق، د ط، د ت.
21. عمار علي حسن، الموسوعة السياسية للشباب، الايديولوجيا، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط (01)، يونيو 2007.
22. عمر بن قتيبة، دراسات في القصة الجزائرية دار الأمة، الجزائر، د ط، 2009.
23. عمر بن قتيبة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، ط (01)، بن عكنون، الجزائر، 1995.
24. عمرو عيلان، الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، منشورات جامعة قسنطينة، الجزائر، ط (01)، 2000.
25. فريدة النقاش، قراءة نقدية في رواية ذاكرة الجسد، مجلة العربي، العدد 457، كويت، 1996.
26. فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة(02)، 2002..
27. مالك عبيد أبو شهيوة وآخرون، الايديولوجية والسياسة ، الدار الجماهرية، ليبيا، 1993.
28. المتخيل في الرواية الجزائرية من التماثل إلى المختلف، آمنة بلعلي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
29. محمد البارودي، الرواية العربية والحداثة، ج01، دار الحوار، سوريا، الطبعة الثانية، دت.
30. محمد سيلا وعبد السلام بن عبد العالي، الايديولوجيا، دار توبقال، المغرب، ط 1999.

31. محمد سيلا، عبد السلام بن عبد العالي، الايديولوجيا، دفاتر فلسفية نصوص مختارة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط (02)، 2006.

32. محمد فاسي، دراسات في الروايات الجزائرية، دار القصبة، د ط، الجزائر، 2000.

33. محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط (01)، 1981.

34. محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط.

35. محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983.

36. مخلوف عامر: الرواية والتحولات في الجزائر، دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب

37. مخلوف عامر، توظيف التراث في الرواية الجزائرية، منشورات دار الأديب، ط(01).

38. مونسور أدولف ديبوش، أسقف الجزائر السابق الطبع والسيوغرافيا، في شارع لسان كاترين 13 أفريل 1849.

39. ناصف مصطفى: اللغة والتفسير والتواصل سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995.

40. ناصيف ناصر، مطارحات العقل الملتزم، دار الطليعة، بيروت، ط (01)، 1986.

41. نبيل السمالوطي، الايديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1975.

42. نبيل سليمان، جماليات وشوامل روائية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.

43. نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، ط (01)، يناير 1981.

44. هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله.

45. واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، د.ت.

46. واسيني الأعرج ، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، منشورات الفضاء، الجزائر، 2004، ط (01).

المجلات:

1. صالح خرفي، الرؤيا الواقعية في ريح الجنوب، مجلة الثقافة تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، 07-08-10 سبتمبر 1972.

2. الموسوعات:

1.موسوعة المصطلح النقدي، (الواقعية، الرومانسية، الدرامة والدرامى الحبكة)، ترجمة: د.عبد الواحد لؤلؤة، المجلد 03، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1983.

المراجع باللغة الأجنبية:

1.Apter David, ideology and discontent, The free, 1967.
3. C.Wright Mills, The maxrtist, Dell PublIcation co.N.4.1978.p1.
4. David Hart, Destult de Tracy (1754-1836): Anannoted Bibiliography, 2001.
5. Encyclopédie Agora, fondée par Jacques Différence et Hélène lalerge dossier idéologie, définition, 2003.
6. Haqopain Mark, Regimes government and ideologies, long man. N4.1978, p 390.
7. James C scortt, political ideology in malysia, reality and the Belief of an elite. university of malya press, kuala lampur, 1968.
8. M. Ginsberg: focts and Valeur, in Advancement of science, Vol 21, n 81.
9. Macrea Donald, ideology and society, Heniman, 1961.
10. Voir : François Bourricaud : Le Bricolage Idéologique (Essai sur les intellectuelles et les passions démocratiques), universitaires de France, 1ère édition 1980.

مواقع الأنترنت:

1-https://www.lazemtefham.com.2014.12.29
2-www.abdelfattahmady.net(...)post434.2013.06.04
3-https://www.lazemtefham.com.2014.12.29
4-https://www.lazemtefham.com.2014.12.29
5-https://www.lazemtefham.com.2014.12.29
6-https://www.lazemtefham.com.2014.12.29
7-https://www.lazemtefham.com.2014.12.29
8-ويكيبيديا الموسوعة الحرة https://an.wikipedea..org/wiki
9-الفلسفة والايديولوجيا https ://alarab.co.uk/
10-أحمد برقاوي: الفلسفة و الايديولوجيا https : //alarab.co.uk/
11-أحمد برقاوي، الفلسفة والايديولوجيا، صحيفة العرب، الصادرة يوم الثلاثاء 2016./08/30
12-عماد الدين ابراهيم عبد الرزاق، صحيفة ايلاف، الصادرة يوم الأحد 27 مارس، 2017.

https ://elaph.com/web/opinion/2016/03/1097829.html
13-جليد قادة، التاريخ والصراع الايديولوجي في الجزائر، صحيفة رأي اليوم، الصادرة يوم 6 مارس 2017، 12:20.

http://www.raialyoum.com
14-جليد قادة، التاريخ والصراع الايديولوجي في الجزائر، صحيفة رأي اليوم، الصادر يوم 16 مارس 2017، 12:20.

15-http://www.raialyoum.com
16-Quraeto,wordpress.com
17-أحمد برقاوي ، الفلسفة والايديولوجيا، صحيفة العرب، الصادرة يوم الثلاثاء 2016/08/30.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ

مدخل: دراسة حول الايديولوجيا

1- مفهوم الايديولوجيا..... 2
2- الايديولوجيا والأدب والرواية 4
3- أنواع الايديولوجيا 10
4- خصائص الايديولوجيا..... 11
5- تصنيف الايديولوجيا..... 15

الفصل الأول

الايديولوجيا والفلسفة والواقعية الاشتراكية

1- الايديولوجيا وعلاقتها الفلسفة..... 21
2- الايديولوجيا الاشتراكية والرواية..... 26
3- الواقعية الاشتراكية بين بن هدوقة والطاهر وطار..... 29
4- الرؤيا الواقعية في رواية ريح الجنوب..... 34

الفصل الثاني

النزعة التاريخية والدينية في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج

1- الايديولوجيا والتاريخ..... 38
2- النزعة التاريخية في رواية كتاب الأمير..... 39
3- الايديولوجيا والدين 43
4- النزعة الدينية في رواية كتاب الأمير 44
5- محتوى الرواية 47

الفصل الثالث

الإيديولوجيا في الرواية الجزائرية المعاصرة

1- الرواية السبعينية والثمانينية والتسعينية..... 53
2- العوامل التي أدت إلى تأخر الرواية الجزائرية المعاصرة..... 57
3- النزعة الثورية في الرواية..... 59
4- محتوى الرواية..... 59
خاتمة..... 69
قائمة المصادر والمراجع..... 72